Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 5 | No. 1| Page 534 – 564 | 2023 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

ثنائيُّ الأُبُوَّة والأُمُومَة، خُصُوصِيَّاتٌ لُغَوِيَّة تحليْليَّة

Dual parenting, human linguistic Analytical comparison

محسن محمد يحي العرشاني

باحث – قسم اللغة العربية –كلية التربية – أرحب

جامعة صنعاء – اليمن

Mohsen Muhammad Yahya Al-Arshani

Researcher -Department of Department of Arabic Language.
Faculty of Education,- Arhab
Sana'a University -Yemen

الملخص:

يتمتَّع ثنائيُ **(الأب والأم)** بقدرٍ كبيرٍ من الاستقلالِ اللُّغوي، والخُصُوصِيَّات الدلاليّةِ التداوليَّة المتفرِّدة، معجميًّا وصوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا ونفسيًّا ودلاليًّا، تُعزِّزُها مستجداتُ الألسُنيَّة الحديثة؛ لكشفُ الغطاء عن هذه الخصوصِيَّات اللُغَويّة المضيْئة المتفرِّدةِ لهذينِ الثنائيّينِ المُفْعَمَين بالدفْءِ والمحبَّة؛ كالاقتصاد اللُّغوي بمقطعيهما القصير والمفتوح (أبْ وأمّ/ بابا وماما)، والاقتصاد الصرفيّ بالحذف في (أبْ) والتضعيف المُدغم في (أمّ)، وتفردهما في النداء بعشْرِ لُغات، وخُصُوصِيَّات صوتيَّة ومعجميَّة وتركيبية وقرآنيَّة، تحملُ دلالاتٍ مبثوثةً في ثنايا البحث.

وقد استقام نهْجُ البحث على: مقدمةٍ، وسبعةِ مباحثَ، وخاتمةٍ؛ **فالمقدمة:** تضمَّنت أهمية البحث، وأهدافه، وأسباب اختياره، أما **المبحث الأول** فأماط اللثام عن خُصُوصِيَّات الأبِ والأمّ، في المعجم اللغوي، والمعجم القرآني وانزياحاته، ثم أُفْرِدَ **المبحث الثاني؛** للحديث عن الأصل اللغوي لـ(بابا/ماما)، وعلاقتهما بلغة الطفل، **واختصّ المبحثان الثالثُ والرابعُ:** بالحديث عن خُصُوصِيَّات (الأب والأم) الصوتيّة والصرفيّة، أما **المبحث الخامس:** فقد خُصِّص لنداء (الأب والأم)، وتفردهما في العربية والقرآن، **وجاء المبحث السادس:** ليسلِّط الضَّوء على ظاهرة التغليب البلاغي مع مثنيَّات الأُبُوَّة والأُمُومَة، **أما المبحث السابع:** فخصِّصَ؛ لكشف الأبعاد الدلاليَّة والنفسيَّة والوجدانيَّة والاجتماعية للأبوين، وأخيراً الخاتمة، وفيها عرضٌ لأهم نتائج الدراسة، ثم المراجع المعتمدة.

الكلمات الدالة: أبْ، أمّ، بابا، ماما، لغة الطفل، المقطع، التغليب، المعجم.

Abstract:

The father and mother duo enjoy a great deal of linguistic independence and unique pragmatic semantic characteristics, lexically, phonetically, morphologically, grammatically, psychologically and semantically, reinforced by the developments of modern phonetic and syllable linguistics, all of which reveal the luminous linguistic characteristics unique to these two pairs full of warmth and pain. pill such as the linguistic economy with their two short clips; The closed and the open.
(father-um/papa-mama), and the morphological economy of deletion in (ab) and weakness in (um), and their uniqueness in the call in ten languages, and phonetic, lexical, and Quranic characteristics, which carry connotations spread throughout the research.
The research approach was based on an introduction, six topics, and a conclusion. The introduction included the importance of the research, its objectives, and the reasons for its selection. As for the first topic, it revealed the privacy of the father and mother, in the linguistic dictionary, the Qur'anic dictionary, its written displacements, the semantic dictionary, and its psychological, emotional and social revelations. Then the second topic was singled out. ; To talk about the linguistic origin of (papa/mama), and their relationship to the language of the child, and the third and fourth sections specialized in talking about the phonetic and morphological characteristics of (father and mother), while the fifth topic: was devoted to the call of the father and mother and their uniqueness in Arabic and the Qur'an, and the sixth topic came: to shed light on The phenomenon of rhetorical overriding with the praises of parenting, and finally the conclusion, in which a presentation of the most important results of the study, and then the approved references.

keywords: father or mother, father, mother, the language of the syllable child, accentuation, lexicon

المقدمة:

إنَّ روعة الحديث عن الأُمُومة والأبوَّة، يدخل حركة الكون على اتساعه من الذرَّة إلى المجرَّة؛ ولأنّ مع الأسرار المغلَّفة بالثنائيَّة الضدِّية التي تنتظم فيها اللغة مرآةٌ لمقاصد الناس، ووعاءٌ لثقافاتهم ومرادهم،

ومع مراقبة العربيّ الطبيعة من حوله، تشكَّلت في لغته جملةٌ من التصنيفات الثنائيَّة؛ أهمها تلك القسمة اللغويَّة الثنائيَّة: (الذكورة والأنوثة)؛ ومنهما تولّد ثنائيَّان مُفْعمان بالدفْء والمحبَّة، وهما ثنائيُّ: (الأُبُوَّة والأُمُومَة).

وقد تشعّبت القرابة كلها، عن الأبوَّة اللاهفة، والأمُومة الحانية؛ فأصبحا من الألفاظ السيَّارة، شائعة الدلالة، لهما من الزاوية اللغويَّة البحْتة، ظلالٌ رائعة، وإيحاءاتٌ مُشْرقة، وخُصُوصِيَّات متفرِّدة؛ مثل تخصيص اللغة العربية؛ لمقام الأب والأمّ في النِّداء بعشر لغات (لهجات) بدلًا من الاسم الوضعي المجرد، واللغة حين تُعبِّر هذا التعبير تبرز ما فيهما من ظلالٍ لُغويَّة، ومَعَانٍ دلالية، ونكتٍ بلاغية، وإيحاءاتٍ نفسية، وفي كلِّ المجالات اللُغويَّة تتألَّق الأُبُوَّة والأُمُومَة؛ ولو حاولنا تتبُّع ما جاء فيهما لُغويًّا بشيءٍ من التفصيل الرحيب؛ لضاق بنا المجال، وامتدَّت بنا الآماد، وقد نحا البحث نحو الوظيفة اللُّغويَّة العمليَّة للأبوين، والمقاصد التي تُحقِّقها في التواصل اليومي، ومعالجة لغة الخطاب، وطرق تأليف أطراف الخطاب رسائل لغوية، والقيام بمعالجتها وتفسيرها لغويًا؛ ومن هنا ظهر في الدرس اللغوي المعاصر الحاجة إلى تحليل اللُّغة؛ للتعرف على دلالاتها؛ فاتجه إلى تصنيف الدلالة اللغويَّة إلى دلالاتٍ معجميَّة، وصوتيَّة، وصرفيَّة، وتركيبيَّة، ونفسيَّة، وغير ذلك من التصانيف التي تقوم على بحث المعنى، وقد تعددت تلك الدراسات بتعُدُّد المناهج والاتجاهات، وأثَّرت بدورها في الباحث والبحث، ولذا اكتفى البحث بإشاراتٍ خاطفةٍ؛ لأبرز الخطوط اللُّغوية المحيطة بلفظي (الأب والأمّ).

أسبابُ اختيارِ البحث:

أثار انتباه الباحث حملة التواصل الاجتماعي الكبيرة في الحديث عن (الأمّ)؛ في اليوم العالمي للأمّ بتاريخ 2021/3/22م، فألهمتني المناسبةُ كتابةَ مقال عن: (ثنائيّ الأُبُوَّة والأُمُومَة)[1]، نشرته مواقع التواصل الاجتماعي؛ فأحدث حراكًا لغويًّا، وأثار تساؤلاتٍ صوتيَّةً وصرفيَّةً وندائيَّةً عن الأب والأم، وعن (بابا وماما) وأصلهما اللُّغوي.

كانت تلك التساؤلات دافعًا قويًّا للباحث؛ ليجعل منه بحثاً علميَّاً محكَّماً؛ لتعُمّ الفائدة.

أهميَّـــــةُ البحث:

تكْمُنُ أهمية البحث في كونه يكشف اللثام عن بعض خبايا لغتنا، وما تملكه من دُرَرٍ ثمينة عن ثنائي: الأب والأمّ، وأبعادهما اللُّغوية والدلالية، ومقاصدهما في التداول الاجتماعي؛ باعتبار اللغة أهم وسائل الاتصال الإنساني، وأكثرها تأثيرًا، وأغناها دلالة.

أهدافُ البَحْث:

يهدف البحث إلى: استقراء الظواهر اللُّغوية إجمالاً عن ثنائي الأُبُوَّة والأُمُومَة، واستخلاص أبرز الخُصُوصِيَّات اللُّغويَّة المتفرِّدة لهما، مُعْجميًّا وصوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا ودلاليًّا ونفسيًّا؛ للوقوف على وظيفة اللُّغة ودورها؛ لمعالجة الخطاب اليومي، والمقاصد التي يحققها في التواصل مع أقرب شخصين إلى قلب الإنسان وحياته؛ لإبراز توهُّجهما وبريقهما، وقوة

[1] https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=4839894529392853&id=100001170609754

دلالتهما، وإظهار أسرارهما، وما في اللغة والقرآن من تمجيدٍ لدورهما في الحياة.

منهجُ البَحْث:

اقْتضت طبيعةُ البحث منهجًا وصفيًّا تحليليًّا؛ لخصوصيات الأبوّة والأمومة المتفردة صوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا ودلاليًّا ومعجميًّا؛ فكان هذا المنهج مِعْوانًا صادقًا للغوص في المراجع اللغوية بمشاربها المتعددة، ومدارسها المتنوعة؛ قديمِها وحديثِها، عربيِّها وأعجميِّها، كما كان المنهجُ الإحصائيُّ حاضرًا، وخصوصًا في الجوانب الصوتية والمقطعية والصرفية والتركيبية، ومسارات استعمالاتهما في القرآن الكريم، والواقع الاجتماعي المتداول، وانعكاسات هذا الاستعمال الدلالية والنفسية.

المبحث الأول

(الأب والأمّ) خُصُوصِيَّاتٌ معجميَّة

معجم (الأب والأمّ) هو المخزونُ المتاحُ للتداولِ الاستعمالي، الذي يقودنا إلى معناهما المعجميّ، والمعاجم المتداولة في حياتنا هي معجم اللغة والقرآن الكريم بكل أبعادها، وسنجمع استقراءً مركَّزًا لمدلول كلمتي (أب وأم) في معاجم اللغة المشهورة، مع استعراضٍ لبعض مصاحباتهما اللُّغويّة التي تضفي على المفردة دلالاتٍ إضافيّة، على النحو التالي:

أولًا: (الأب والأمّ) في المعجم اللُّغَوِيّ:

أ- مفهوم الأبوّة لغةً واصطلاحًا:

1- المعنى اللُّغوي: الأبُ بالتَّخفيف بمعنى الوالد الذي إليه يُرجعُ النّسب[2]، **والأَبُّ** بالتشديد: التهيؤ والقصد، يقال: أَبّ الرجل: إذا تهيأ للذهاب وقصد، والأبّ النزّاع إلى الوطن، ورجلٌ أَبِيٌّ: ذو إباءٍ، وقوم أَبِيُّونَ وأُباةٌ يأبون الضيم[3]، ويقال: أُبُوّة القوم، وأَبَوْت الرّجل آبوه، إذا كنت له أباً، ويقال: فلانٌ يأبُو هذا اليتيم إباوةً، أي: يغْذُوه، كما يغذو الوالدُ وَلَدَه، والأَبُ: الوالد، ولا يرد الأبُ بمعنى المربّي أو العمّ إلا بقرينةٍ[4]، وأَبو المرْأَةِ: زَوْجُها في بعضِ اللُّغاتِ!، واستغربه صاحب التاج[5]..

والأُبُوّة: المصدر من الأب، كقولك: تأبّيت أبَاً، وهي رباطٌ يربط الأبُ بذريَّته، وتقابلها الأُمُومة، وهي من أقوى الرَّوابط الإنسانيّة، وهموم الأُبُوَّة: أعباؤها.

والأَبَويَّة: مصدرٌ صناعيٌّ من **أب**، وهي نظام اجتماعي يتألف من جماعة أو جماعات أصلها أسر مشتركة في الدم بحيث تخضع جميعها لسلطة حاكم هو أكبر الذكور فيها[6]، ويتبيَّن ممَّا سبق أن الأبوَّة كلمة تحتمل عددًا من معاني التهيؤ والقصد للاحتضان الاجتماعي والتربوي، والتعبدي، وكافة مناحي الاحتضان، وإن كانت أخصُّ خُصُوصِيَّات الأبوّة؛ أبوّة الدم؛ إذ إنها حقيقته.

2- المعنى الاصطلاحي: هناك فرقٌ بين الأبِ والأبوّة، فقد يكون أبًا في الدم، ويتنصّل من واجبات الأبوّة، وعَرَّف الجرجَانيُّ الأبَ اصطلاحيًّا، بأنه: «حيوانٌ يتولَّدُ من نطفته شخصٌ آخر من نوعه» [7]،

[2] راجع: تاج العروس، الزبيدي، ط1، المطبعة الخيرية بمصر، (من دون تاريخ)، 31 / 234..
[3] العين، الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، د.ت.ط.، 8 / 419
[4] راجع: المفردات، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط3. ص58،57، والتوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، دار الفكر-بيروت، دمشق، ط1، 1410هـ، تح: د. م رضوان الداية، ص35، والكليات، لأبي البقاء الكفوى، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1998م، تح: عدنان درويش، محمد المصري، ص25.
[5] تاج العروس، الزبيدي 31 / 234.
[6] معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 2008م، 1 / 56، والمعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4.
[7] التعريفات، علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ، ص7.

واتفق معه الكفوي، حيث قال: «الأبُ إنسانٌ تولّدَ من نطفته إنسانٌ آخر» [8]، وعرفه المناوي بقوله: «الأبُ: الوالد، والأبوان: الأب والأمّ، أو الأب والجد، أو الأب والعمّ، أو الأب والمعلم، وكذا كلّ من كان سببًا لإيجاد شيء، أو إصلاحه، أو ظهوره» [9].

ج- مفهوم الأُمُومَة لغةً واصطلاحًا:

1- المعنى اللُّغوي: الأمُومة مشتقةٌ من الأمّ، **وأمُّ** كل شيء: أصله وعماده، **وأمُّ** كل شيء معظُمه، يقال لكل شيء اجتمع معه غيره؛ فضمه إليه أَمّه.

والأمُّ: الوالدة [10]، والهمزة والميم في (أمّ) أصلٌ واحدٌ، يتفرّع منه أربعة أبواب، وهي الأصل، والمرجِع، والجماعة، والدِّين، وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصولٌ ثلاثة، وهي القامة، والحين، والقَصْد [11].

والأمُّ: خادم القوم، الذي يلي طعامهم وخدمتهم، وكما تطلق الأم على الوالدة، تطلق على الجدة، يقال حواء أمّ البشر، وجمعها للعاقل أمهات، ولغير العاقل أمَّات.

والأمّ: المسكن، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9)﴾ [القارعة:٩] أي: مسكنه النار، وقيل: أُمّ رأسه هاوية فيها، أي: ساقطة [12]، وقيل: تفسير الأمّ في كل معانيها: أمَه؛ لأن تأسيسه من حرفين صحيحين، والهاء فيه أصلية، ولكن العرب تحذف تلك الهاء عند أمْنِ اللبس، لذا يقال في تصغير أُمّ: أُمَيْمَة، والصواب: أُمَيْهَة، تردُّ إلى أصل تأسيسها، ويقال: تأمّم فلان أمًّا، أي: اتخذها لنفسه أمًّا[13].

2- المعنى الاصطلاحي: الأمُومة هي: نظامٌ تعلو فيه مكانة الأمّ على مكانة الأب في الحكم، ويرجع فيه إلى الأمّ في النسب أو الوراثة [14]، **والأمُّ هي:** الوالدة القريبة التي ولدته، والبعيدة التي ولَدَت من وَلَدَتْه[15]، **والأمُّ:** اسمٌ لكل أنثى لها عليك ولادة، فيدخل في ذلك الأمُّ الدنيا، وأمهاتُها وجداتُها وأمُّ الأب وجداته، ومن فوقها وإن علون[16].

ثانيًا: المصاحباتُ المعجميّة لـ(الأب والأم):

المصاحبات المعجميَّة: هي وحدات معجميّة متلازمة مترافقة مستعملة بحكم العلاقات العُرفيّة الاعتيادية بين **(أب وأم)**، ومصاحباتٍ قريبةٍ متداولةٍ يقرُّها العرفُ اللُّغويُّ، وتُعدّ هذه الظاهرة أمرًا شائعًا، اشتد عودُها في رحاب نظرية السياق، وتسمى بـ: بالمشاكلة، والتطابق، والتناسب، ومراعاة النظير، والمزاوجة، والتصاحب، والمصاحبة، والتلازم، والتوارد، والاقتران، والنَّظْم، والانتظام، والترابط، وتوافق الوقوع [17].

أ- المصاحباتُ المعجميّة لكلمة (أب):

1- الأبُ والوالدُ: الوالد أخصُّ من مصطلح الأبوّة؛ إذْ إنْ الأبوّة تجوز أن تكون في حق الجدِّ والعمِّ والمربي، أما الوالد فهو الأب الأدنى، **والوالدُ لغةً:** الأَبْ، وتوالدوا، أي: كثروا وتناسلوا وولد بعضهم

[8] الكليات، ص25.
[9] التوقيف على مهمات التعاريف، ص٣٥.
[10] القاموس المحيط، الفيروز آبادي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، (من دون تاريخ). ص1076.
[11] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979، د.ت.
[12] راجع: تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المؤسسة المصرية العامة، 1964م، ص 452/15. الصحاح، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكاتب العربي، مصر، د.ت،1863/5، تاج العروس، الزبيدي 230/31، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية27/1.
[13] راجع: تهذيب اللغة، الأزهري 452/15.
[14] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية،27/1
[15] التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص62
[16] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي108/5.
[17] المصاحبة المعجمية، سلسلة الرسائل والدراسات الجامعية. لواء عبد الحسن عطية، دار الكتب العلمية، 2018م، بيروت، لبنان، ص7.

بعضًا، ويقال: الوالدان، أي: الأب والأمّ معًا [18]، **واصطلاحًا:** ما تولّد واستبْقي من نطفته ما يتوقع ذهابه بصورة منه، تخلف صورة عنه [19].

2- الأبُ والوالدةُ: الأب الأقرب هو زوج الوالدة التي تضع المولود، **والوالدة لغةً:** الأمّ، يقال: ولَدت المرأة ولادًا وولادةً، وأولدت: حان ولادها [20]، وولدته أمّه ولادةً وإلادةً على البدل، فهي والدة على الفعل، ووالدٌ على النسب [21]، **والوالدة اصطلاحًا:** هي التي تضع ولدها المولود [22].

3- الأبُ والأمُّ: الأب والأمّ هما الوالدان اللذان يتكون منهما الولد، وقد سبق التعريف بهما.

4- الأبُ والجدُّ: الجدُّ لغةً: الاجتهاد والعظمة والقطع، كما يقال: جدَّ في سيره [23]، **والجدُّ اصطلاحًا:** أبو الأب وأبو الأمّ وإن علا، والأب والجد قد يطلق عليهما (الأبوان)، من ناحية التغليب.

5- الأب والعمُّ: العم والأب يتفقان في جواز إطلاق الأبوين على كليهما تغليباً، **والعمُّ لغةً:** مأخوذ من الشمول، ويطلق على أخي الأب، ويجمع على أعمام وعمومة، وتطلق العمومة على الجماعة الكثيرة من الناس [24]، **والعَمُّ اصطلاحًا:** أخو الأب الذي يشمل صفات الأبوة في التهيؤ والقصد للاحتضان بكافة أنواعه.

ب- المصاحباتُ المعجميّةُ لكلمة (أمّ):

1- الأمُّ والوالدةُ: لفظ الأمّ أعم من الوالدة، ففي كتب اللغة، **الأمّ:** هي أصل الشيء، بينما الوالدة هي التي تلد، فكل والدة أمٌّ، وليس كل أمٍّ والدةٌ، وقد سبق التعريف بالأمّ والوالدة لغة واصطلاحاً.

2- الأمُّ والأنثى: كلُّ أمٍّ أنثى، وليس كل أنثى أمًا، فإذا أنجبت الأنثى أصبحت أمًا، **والأنثى لغة:** من أنّث، فالألف والنون والثاء ما كان خلاف الذكر، والأنثيان أنثيا الإنسان [25]، **والأنثى اصطلاحًا:** قال الأصفهاني في تعريف الأنثى: «الأنثى خلاف الذكر ويقالان في الأصل اعتبارًا بالفرجين، ولما كانت الأنثى في جميع الحيوان تضعف عن الذكر اعتبر فيها الضعف، فقيل لما يضعف عمله أنثى» [26].

3_ الأمُّ والمرأةُ: كل أمٍّ امرأة، وليس كل امرأةٍ أمًا، **فالمرأة لغة:** يقال: مَرَة -بلا ألف-: تأنيث المرء؛ «والمرأُ: الرجل» [27]، فقد أنّثوا فقالوا مرأةٌ، وخفّفوا التخفيف القياسيّ فقالوا مرَةٌ -بترك الهمز وفتح الراء- وهذا مطّرد، يقول سيبويه: وقد قالوا على قلةٍ: مراةٌ؛ وللعرب في المرأة ثلاث لغات؛ يقال: هي: امرأتُه، ومرأتُه، ومرتُه [28]. **والمرأة اصطلاحًا:** اسم للأنثى البالغة، ولا يطلق عليها (امرأة) في عرف أهل اللسان، إلا بعد البلوغ [29].

3- الأمُومةُ والأبوّةُ: اللذان تتضافر جهودهما لإنشاء أسرة، فمنهما يتكون الولد، فالأمُومة مضادّ الأبوة، وقد سبق تعريف الأبِ والأمّ لغة واصطلاحًا.

4- الأمُّ والمرضعُ: في التفريق بين الأم المرضع، وبين المرضعة سيأتي بعد قليل.

ثالثًا: (الأب والأمّ) في المعجم القرآني:

[18] راجع: لسان العرب؛ لابن منظور، دار صادر، بيروت، 1990م 467/3، ومختار الصحاح، للرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، 1995م، تح: محمود خاطر، ص345.
[19] التوقيف على مهمات التعاريف، ص333.
[20] راجع: مختار الصحاح، الرازي، ص345.
[21] لسان العرب؛ لابن منظور467/3.
[22] التوقيف على مهمات التعاريف، ص340.
[23] المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، 92/1.
[24] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية،629/3.
[25] مجمل اللغة؛ لابن فارس، تح: هادي حمودي، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط1، 1985 م، 104/1.
[26] راجع: المفردات، الأصفهاني، ص27.
[27] راجع: معجم العين، الفراهيدي 299/8.
[28] لسان العرب؛ لابن منظور154/1.
[29] راجع: نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، تح: محمد كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، 1984م، بيروت، ص571.

ليس هناك لغةٌ، احتفلت بنعمة الأُبُوّة والأُمُومَة، احتفال لغة القرآن، وما أشرقت صفحاتُ أدبٍ؛ على نحو ما أشرقت صفحات القرآن في إكبار الطاعة والبرّ؛ مصوّرةً في الوالدين، وهذا يتطلب بحثًا بل بحوثًا مستقلة لا محلّ لها هنا، اكتفينا منها بإشارات عابرة، تتلاءم مع طبيعة البحث، ومساحته:

1- الأبُ والأمُّ في القرآن:

وردت مادة (أب) في القرآن الكريم (١١٧) مرة، وأطلقت الأبوّة في الاستعمال القرآنيّ على ثلاثة أوجه[30]: الوالدُ بعينه، العمُّ، الجدُّ، أما (الأمّ) فقد وردت في القرآن (٢٨) مرة، وجاءت الأمُّ في الاستعمال القرآنيّ على ثلاثة أوجه: الأول: الوالدة. والثاني: المرضعة، والثالث: أمهات المؤمنين.

وفي القرآن صورٌ حية مشرقة، مبثوثة في ثناياه تتحدث عن الأُبُوّة والأُمُومَة، بحنانهما ولهفتهما وتحببهما وتعطفهما، وانفرادهما بالسموّ والحنوّ بين جميع العلاقات الإنسانية.

2. أسرار ترتيب الأقارب في مشهدي (الفرار والفداء) يوم القيامة:

(الفرار والفداء) مشهدان من مشاهد يوم القيامة يصوّران حال المرء مع أقاربه، الذين كان في الدنيا؛ يفرُّ إليهم؛ فإذْ به في الآخرة، يفرّ منهم؛ فسورة عبس رتَّبت مشهد الفرار: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36)﴾ [عبس: 34 – 36]، أما سورة المعارج فرتَّبت مشهد الفداء عكسيًا: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (14)﴾ [المعارج:11_14].

ويمكنُ رصدُ النتائجِ التالية في ترتيب المشْهدَيْن:

الأولى: كان الترتيب في (الفرار) و(الفداء) متعاكسين؛ ففي الفرار كان تصاعديًّا من الأبعد إلى الأقرب، وفي الفداء كان تنازليًّا، من الأقرب إلى الأبعد.

جدول (1): ترتيب الأقارب في مشهدي الفرار والفداء

المشهد	ترتيب الأقارب
الفرار	الأخُ، ثم الأمُّ، ثم الأبُ، ثم الصاحبةُ، ثم الابنُ.
الفداء	الابنُ، ثم الصاحبةُ، ثم الأخُ، ثم الفصيلةُ.

وهذا الترتيب يتلاءم مع سياق المشهدين؛ فسياق (الفرار) يقتضي أن يفرّ الإنسان من الأباعد أولاً؛ و(الأخ) أبعد المذكورين في الآية، ثم يتدرج إلى ألصق الناس به وأقربهم إليه؛ فيكونون آخر من يفرّ منهم، وهم (أبناؤه)، أما سياق سورة (الفداء)، فهو مشهدٌ من مشاهد العذاب الذي لا يُطاق، فالمجرم يودّ النجاة بكل سبيل؛ ولو بابنه الأحب، فرتب الأقارب ترتيبًا آخر يقتضيه السياق، وهو البدء بالأقرب إلى قلبه ثم الأبعد.[31] **والثانية:** ما سرُّ غياب الأبوين من قائمة ترتيب (الفداء)؟! يحسب للدكتور فاضل السامرائي أن له أولوية كشف سرَّ غياب (الأب الأمّ)، إكرامًا لهما، بقوله: "والملاحظ أنه في حالة (الفداء)؛ **لم يذكر (الأمّ والأب)**؛ لعظيم منزلتهما؛ فالله تعالى أمر بإكرامهما؛ فلا يجرؤ المجرم أن يفتدي بـ(أمه وأبيه)؛ وكأنّ الأمر بالإحسان إليهما يشمل الدنيا والآخرة؛ فهذا يدلُّ على عظيم مكانة الأبوين عند الله[32].

3- انزياحاتُ الرسمِ القرآنيّ مع الأبوين:

[30] راجع: المعجم المفهرس؛ لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1364هـ.
[31] الكشاف؛ للزمخشري3/312.
[32] راجع: لمسات بيانية في نصوص من التنزل، د. فاضل السامرائي، ص193، 196

وفقًا للمعجم المفهرس[33]؛ فقد انزاح الرسم القرآني عن معيارية قواعد الإملاء؛ إلى حَذْف الألف وإسقاطها كتابة لا نطقًا مع جمع(الأمهات) و(الوالدة)؛ وإثباتها مع (الآباء) و(الوالدين)، حيث وردت كلمة (آباء) ومشتقاتها(64) مرة، وكذلك الحال في كلمة (والد) ومشتقاتها فقد جاءت (3) مرات في القرآن كله، وكلها بالألف الصريحة المنطوقة المكتوبة، وفي المقابل وردت كلمة (أمهات) بحذف الألف(11) مرة، و(والدة) ومشتقاتها (3) مرات؛ وكلها بحذف الألف كتابةً لا نطقًا، وهذا الانزياح يحمل سرًّا إيحائيًّا لطيفًا؛ للإيحاء بالتصاق (الأمِّ) و(الوالدة) بوليدها؛ التصاقًا وقربًا غريزيًا؛ وليس مكتسبًا؛ كـ(الأب)؛ كما يؤكد الطب الحديث؛ وليس أدل على ذلك من التصاق الولد بأمه التصاقًا حسيًّا في مرحلة الحمل في بطن أمه تسعة أشهر، ثم مرحلة الرضاعة؛ ملتصقًا بثدي أمه؛ حولين كاملين.

ومن الإيحاءات الجميلة، أن الألف حُذفت مع جمع (الأم والوالدة)؛ لأنها من حرف فصلٍ؛ تفصل أجزاء الكلمة وتبعثرها (الأمهات، الوالدة)، وهذا لا يتناغم مع طبيعة الأمُومة الإلصاقية؛ فحذَفَ الألف لتلتصق أجزاء الكلمة، وتتقارب وتتلاحم؛ لتنسجم مع طبيعة الأم الملتصقة بولدها، مما يدلُّ على أن رسم الكلمة القرآنية أعطى للكلمة امتدادًا دلاليًا، وعمقًا معنويًا، وأضاف مساحةً وبُعدًا إيحائيًا للأمومة والأبوة.

4. الانزياح القرآني من مرضعٍ إلى مرضعة:

الأصل في(مرضع، وحائض) وأضرابها، ألَّا تلتصق بها تاء التأنيث؛ لأنها صفاتٌ اختصَّت بها النساء، ولا حظَّ للذكور فيها؛ لكن السياق القرآني انزاح في (مرضع) إلى لصقها بتاء التأنيث، فأصبحت (مرضعة)؛ للإنباء عن أن المرضعة هي التي ترضع فعلًا وواقعًا، والموسومة بدون التاء (مرضع) من شأنها الإرضاع، لكن ليس على وجه الحقيقة المباشرة، قال تعالى: ﴿يومَ ترونها تذهلُ كل مرضعةٍ عمَّا أرضعت﴾[الحج: 2] فـ(مرضعة) أبلغ من (مرضع)؛ بإلصاق التاء في مقام الهول، فالـ(مرضع) قد تذهل عن رضيعها؛ إذا كان غير مباشر للرضاعة، أما الـ(مرضعة) وهي من تلبَّست بالإرضاع المباشر، وألقمت ثديها صبيها، واشتغلت بإرضاعه، فلا يمكن أن تذهل عنه؛ إلا لأمر هو أعظم عندها من اشتغالها بالرضاع؛ فمن شدة الهول يوم القيامة تذهل عن ولدها، فكيف سيكون حال غيرها فيه؟[34]، وفي هذا يتعمَّق الزمخشري مقللًا من البحث في القانون اللغوي؛ لينتقل مباشرة إلى الإيحاء النفسي الخاصِّ في صيغة المؤنث (مرضعة)؛ فيرى أن للتأنيث بالتاء جمالٌ قائم على تصوير الحدث، وكأنَّما أدرك عدم اطّراد هذا القانون في كل تأنيث، وبناء على هذا يكون (مرضع) اسمًا عامًّا، أما (مُرضعة) فلها فاعليّة كبرى خاصّة، بدخول التاء التي نقلتها من العموم إلى الخصوص؛ فحددت زمنها، وأثبتت أنها حادثة في وقت محدَّد؛ ناسب هول يوم القيامة.

وفي المعاجم **المرضع لغةً**: من رضع الصبيُّ أمه رضاعًا، وامرأة (مرضع) أي لها ولدٌ تُرضعه، يقول الفراء: المرضعة الأم، والمرضع التي معها صبيٌّ ترضعه، وقيل: المرضعة الفاعلة للإرضاع، والمرضع ذات الرضيع[35]، **والمُرضع اصطلاحًا**: وهي من معها صبي ترضعه، سواء كانت من ولدته أو استؤجرت

[33] رجع: المعجم المفهرس؛ لألفاظ القرآن الكريم، ص614.
[34] بتصرف يسير من: الكشاف؛ للزمخشري143/3.
[35] راجع: مختار الصحاح، للرازي، ص345.

لإرضاعه [36]، ويذهب بعض الكوفيين إلى أنَّ المرضعة توسم بها الأمُّ، أما المرضع فتوسَم بها المُستأجَرَة للإرضاع، وهي غير الأمِّ؛ وهو مذهب مردود بقول الشاعر [37]:

كمرضعةٍ أولادُ أخرى، وضيَّعتْ

بني بطنها، هذا الضلال عن القصد

وجاء في الدر المصون [38]: «فأطلق المرضعة بالتاء على غير الأم، وقول العرب: مرضعة يرد أيضًا قول الكوفيين: إن الصفات المختصة بالمؤنث لا يلحقها تاء التأنيث، نحو: حائض، وطالق، فالذي يقال: إن قصد النسب؛ فالأمر على ما ذكروا، وإن قصد الدلالة على التلبس بالفعل وجبت التاء؛ فيقال: حائضة، وطالقة، وطامثة».

والخلاصة أن الانزياح الجمالي والنفسي في وسْم غير الأمّ بالمرضعة؛ نقلها من العموم إلى الخصوص، فحدَّد زمانها ووقتها ونوعها؛ للإنباء عن هول المحشر، وتنزيل المرضعة منزلة الأمّ؛ لأنها تُعدُّ أمًّا بسبب هذه الإرضاع.

المبحث الثاني
(بابا وماما) خُصُوصِيَّات لُغويَّة شائكة

يدور جدلٌ لغويٌّ، حول (بابا/ماما)، هل هما أعجميَّان أم عربيَّان؟، ووصل الجدل إلى المجامع الفقهيَّة واللغويَّة، وأنكروا على الأديب أن يناغي بكلمة طفوليَّة مثل (بابا/ماما)، بل عدَّها بعضهم أجنبيَّةً غير عربيَّةٍ، وعند البحث عن هاتين الكلمتين وُجد أنّ لهما أصلاً عربياً عريقاً ضارباً بجذوره في القدم، وسيكون حديثنا عن أهم قضايا (بابا/ماما)، التي يدور الجدل حولها، نحوصله في النقاط التالية:

القضية الأولى: (بابا/ماما)، في الأصول العربية:

أولًا: (بابا/ماما) في الدوائر الفقهية:

وفي هذا ردٌّ على مَن يُنكرُ وجود هذه الكلمة في المراجع الفقهية، ثم حين يتبدّى له على وجه اليقين أنها موجودة يُعجزه استخراجُها؛ لأنه لا يعلم من أي باب تخرج، أو تحت أيِّ أصلٍ تندرج!، والفتوى الفقهية رقم (1099)، والفتوى رقم (8867)[39]، اللتان تدوران حول: هل هاتان الكلمتان عربيتان فصيحتان، أم تسربتا إلى استعمال العرب بعد تعرضهما للتعريب؟: **الجواب:** (بابا وماما) لفظان ينطقهما الطفل أول ما يبدأ بالنطق، وفي البداية لا يعرف أن **بابا** لنداء الأب، و**ماما** لنداء الأمّ، لكن أبويه يعلِّمانه أن يخصّ الأب بـ(بابا)، ويخص الأمّ بـ(ماما)، وقد ورد هذان اللفظان في أقدم مصدر، وهو كتاب النوادر[40]، الذي نصّ على أن الفعل من حكاية هذين اللفظين بأبأ ومأمأ، وذكر أن الفعل بأبأ يعني أن الأب قال لابنه بابا، وأن الطفل قال لأبيه بابا، وكذلك مأمأ للأمّ، وهذا يدل على أن العرب استعملوا لفظ بابا وماما للأطفال، وأنهم كانوا إذا أرادوا أن يخبروا أن أطفالهم نطقوا هذين اللفظين قالوا عنهم: بأبؤا ومأمؤا، كما يستدلّ الفقهاء بقول **الإمام الراغب:** «قولهم: بأبأ الصبي، هو حكاية صوت الصبي إذا قال: بابا» [41]، ووجود هذين اللفظين في لغات أخرى بنفس الدلالة أو بدلالة قريبة لا يعني أن

[36] لسان العرب؛ لابن منظور 467/3.
[37] ينظر: البحر المحيط 143/3، والدر المصون، السمين الحلبي، 538/3، 224/8.
[38] الدر المصون 224/8، الكشاف، الزمخشري 410.
[39] اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الجزء رقم: 25، الصفحة رقم: 175، المجيب: أ.د. بهاء الدين عبد الرحمن، راجعه: أ.د. أبو أوس الشمسان، رئيس اللجنة: أ.د. عبد العزيز بن علي الحربي (رئيس المجمع).
[40] النوادر في اللغة؛ لأبي زيد الأنصاري، تح: د. محمد عبد القادر، دار الشروق، بيروت، ط1، 1981 م، ص 254.
[41] مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة "أبا"، ص58.

هذين اللفظين معربين أو أعجميين؛ لأنهما يجريان على ألسنة أطفال العالم كله، والذي يظهر أنها عربيَّة، ذكرتها المعاجم والمدونات العربية[42].

ثانيًا: (بابا/ماما) في الدوائر المعجمية:

يكاد قولُ الجاحظ الآتي، يطغى على المعاجم انتشارًا: «والميم والباء أوّلُ ما يتهيّأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما، وبابا؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين »[43]، وفي معاجم اللغة، نصوص كثيرة تثبت هذه اللفظة بمعناها الذي تعارف عليه الناس اليوم، وتكاد تلك المعاجم، تُجمع على ما جاء في مستهلِّ (لسان العرب): «وبأبأتُهُ أيضًا، وبأبأتُ بِهِ قلت له: بابا، وقالوا: بأبأ الصبيَّ أبوه إذا قال له: بابا، وبأبأه الصبيُّ إذا قال له بابا، وقال الفرّاء: بأبأتُ بالصبيِّ بِئْباءً إذا قلت له: بِأَبي، قال ابن جني: سألت أبا عليّ؛ فقلتُ له: بأبأتُ الصبيَّ بأبأةً إذا قلت له بابا[44]»، **أما نوادر اللغة، فقد جاء فيه:** "بأبأ الصبيُّ أباه، وبأبأه أبوه: إذا قال له: يا بابا، ومأمأ الصبيُّ أمّه فهو يُمأمئُها ويبأبئُ أباه بأبأةً ومأمأةً، ويقال: دأدأتُ الصبيَّ دأدأةً إذا سكتُّه تسكيتاً[45]، كما جاء في **رسالة الاشتقاق:** «ومنه أن تجيءَ اللفظة يُرادُ بها الحكاية، فهذا الضرب لا يجوز أن يكون مشتقًّا، نحو: بأبأ الصبيَّ إذا قال له: يا بابا، وكذلك غاقِ وما أشبه»[46]، وفي **الأفعال للسرقسطي:** «بأبأ الصبيُّ أباه وبأبأه أبوه :إذا قال له: بابا»[47].

ثالثًا: (بابا/ماما) في الدوائر اللغوية والألسنية المعاصرة:

للمعاصرين في ذلك ثلاثة أقوال؛ **الأول:** يرى أن (بابا وماما) ألفاظ عربية أصيلة، تسربت إلى اللغات الأخرى، وعلى رأس هذا الفريق، الأرسوزي، والعلايلي، وعبد الحق فاضل، وعباس حسن، يقول العلايلي: «أطلق العرب على الأمّ المرضع (ماما)، ثم أطلقوها على كل (أمٍّ)، وقد تسربت هذه اللفظة يقينًا إلى اللغات الغربية»[48]، ويضيف عباس حسن: «لفظة (ماما) في اللهجات العامّية، ماهي في الحقيقة إلا الأرومة التاريخية للفظة (الأمّ) قد أتتا من مراحل اللغة العربية البكر، وما يرجح هذا أن لفظة (ماما) موجودة في معظم اللغات الغربية، وأن الألفاظ التي تدل على معنى الأمّ فيها تبدأ بحرف الميم.. وهكذا قيل للوالدة **ماما** وللوالد **بابا**..»[49]، وهذا القول بحاجة لوقفات بحثية مساندة. **أما القول الثاني:** فيرى أن صيغة (بابا ماما) دخلت العربية من اللغات الأخرى؛ وهذا قولٌ، مردودٌ؛ من وجهين؛ وجه تأصيليٌّ يُظهِر أنها أصيلة في العربية، وليست دخيلة، ووجهٌ تاريخي، يعتبر الصيغة العربية أقدم من اللغات الأوربية الحديثة، ويظهر هذا من التوافقات اللغوية العتيقة في اللغات القديمة، ففي اللغات الساميّة على اختلافها تظهر الصيغة الفصيحة، وتجد عدداً كبيراً من الكلمات المشتركة، صنع منها ولفنسون معجمًا، منه: [50]

جدول (2): الأب في الساميات

[42] مقالة بعنوان: الشاعر الأميري، وكلمة "بابا"، د. محمد حسان الطيان عضو مجمع اللغة العربية، دمشق، موقع الألوكة، رابط: [http://www.alukah.net/articles/1/502.aspx].
[43] البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السّلام هارون، الطّبعة الخامسة، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، 1985م، ص54.
[44] لسان العرب، مادة: بأبأ.
[45] نوادر اللغة لأبي زيد الأنصاري، ص254.
[46] رسالة الاشتقاق لابن السراج، تح: محمد درويش، مصطفى الحدرى، سوريا، ط1، 1972، ص31.
[47] الأفعال، لأبي عثمان السرقسطي، نشر الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، تح: د. شرف و د. علام، 1975 م،133/4.
[48] تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، ص 50 -51.
[49] خصائص الحروف، عباس حسن، ص72.
[50] تاريخ اللساميات، إسرائيل ولفنسون، ط1، دارالقلم1980م، بيروت، ص 77.

عربية	آشورية	آرامية	أكادية	كنعانية	حبشية
أبٌ	أبُو	أبا	أَبو	أَب	أبْ

والقول الثالث: يرى أن (بابا/ماما) أسماء أصوات مشتركة بين اللغات تُروى على سبيل الحكاية، بل يُعدُّها لُغويُّون لسانيون أصل اللغات، فمنها ومن محاكاة الأصوات الطبيعية استمدت اللغة ألفاظها، وهي إحدى النظريات المشهورة في نشأة اللغات، وبها أخذ ابن جني في بعض أقواله، واللغوي الألماني هردر؛ كما أخذ بها من المتأخرين أمثال آدم سميث، كما يذكر رمضان عبدالتواب[51]؛ لذلك يصبح من المنطقي، أن نرى تشابهًا بين العربيَّة والفارسيَّة، أو بين الإنجليزية والإسبانية والفرنسية؛ لأن الجذور واحدة، يقول جون مكوهورتر: «اتفق البشر ضمنيًّا على أن ينادوا أمّهاتهم وآباءهم بالاسم ذاته، أو مع تغير بسيط في النطق أو التكوين (ماما) و(بابا) من الكلمات العالمية الموجودة تقريبًا في كل اللغات بالمعنى نفسه؛ لأنه رغم الاختلافات، نجد أن هذه اللغات كانت ذات يوم لغةً واحدة، فإذا كان (الأمّ والأب) عند الفرنسيين (maman مامو، وpapa بابًا) وعند الإيطاليين (mamma ماما وbabbo بابو)، وعند النرويجيين (mamma مامًا وpapa بابًا)، فربما يعود السبب بديهيًّا إلى أن هذه اللغات من عائلة واحدة» [52].

رابعًا: (بابا وماما) في الدوائر الشعرية:

سنطوف مع بعض الشعراء في القديم والحديث، حسب التسلسل:

الأول: العباس بن الأحنف، في قوله [53]:

لها لُعَبٌ مصفَّفَةٌ تُلقبُهُنَّ ألقابا

تنادي كلّما رِيعت مِن الغِرّةِ يا بابا

والثاني: ابن الوردي [54]، في قوله:

لقد صدتْك أمّك عن رضانا

فيا ماما دعي للصلح بابا

والثالث: أحمد تقي الدين، قائلاً عن طفل [55]:

اتهموه بالحب وهو يتيمٌ

أعجميٌّ يقول بابا وماما

والرابع: أحمد شوقي، عن طفلة صغيرة [56]:

تقول بابا أنا دحّا وهو كخّ

معناها بابا لي وحدي ما طبخْ.

والخامس: البردّوني، يقول [57]:

وإلى أغرب القرارات يرنو

ويناغي كالطفل:(دادا، حباذا).

والسادس: عمر بهاء الدين الأميري، شاعر الإنسانية بل شاعر الأبوة والأمُومة، فقصيدته (أب)، طارت في الآفاق، ما جعل صاحبها نفسه يتعجب من ذلك، فسماها القصيدة المحظوظة!؛ وقد أُعجب بها كبير النقاد العقاد، على قلّة ما يعجبه من شعر المعاصرين، وعدَّها من عيون الشعر الإنساني، قائلاً: «لو كان

[51] راجع: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط2 46/1 – 47، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ص112، متن اللغة /18.

[52] راجع: لماذا "أنا" و"أنت"؟، نيكولز، ج. (1999)، أوراق مختارة من المؤتمر الدولي الرابع عشر حول علم اللغة التاريخي، فانكوفر، 9-13 أغسطس 1999م، محرر. لوريل ج. برينتون، دار نشر جون بنجامين، 2001، صفحات 253-276..

[53] ديوان العباس بن الأحنف، طبعة دار الكتب المصرية شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي، حيث وردت القصيدة ص16.

[54] ديوان ابن الوردي، عمر بن مظفر الوردي(749هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، 2006، دار الآفاق العربية، مصر، ص84.

[55] ديوان الشيخ أحمد تقي الدين (1888-1935م)، مؤسسة البحيري، دمشق، 1967م، ص 79.

[56] ديوان أحمد شوقي، شرح وتعقيب: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط8، 1981م،24/2.

[57] ديوان البردوني، الأعمال الكاملة، 666/2، وزارة الثقافة، اليمن، ط1، 2010م.

للأدب العالميّ ديوانٌ من جزءٍ واحد؛ لكانت هذه القصيدة في طليعته» ... ومن أبياتها [58]:

فنشيدُهُم (بابا) إذا فَرحوا
ووعيدُهُم (بابا) إذا غَضِبوا
وهتافُهُم (بابا) إذا ابتَعدُوا
ونَجِيُّهُم (بابا) إذا اقتَرَبُوا

القضية الثانية: (بابا/ماما)، والطفولة اللغوية:

الطفل هو سفيرنا اللغويُّ الأول؛ فبعد مرحلة المناغاة، يبدأ الطفل بنطق الأصوات، ثم بتكوين المقاطع الصوتية، وأسبق المقاطع إلي ذهن الطفل **(بابا/ماما)**، ولا يلبث هذا الصغير أن يتَّخذ لمدلول لفظ (الأب) صفات غير أساسية يلتمسها من صفات أبيه، ثم يخلع لفظ الأب علي كل من يتصف بهذه الصفات العرضية، فإذا كان أبوه له شوارب طويلة، وعصا في يده، ثم تصادف أن رأى رجلًا يتصف بمثل هذه الصفات أطلق عليه ببراءة **(بابا)**؛ فالطفل هو المرجع الأول لاستعمال هاتين الكلمتين لصدورهما منه في البداية؛ وهو مرجع نشوء اللغة، وفي ذلك تعدَّدت الآراء، نجملها في النقاط التالية:

الأول: الميل إلى السهولة الصوتية والمقطعية:

فالطفل يميل نحو لفظ الأحرف التي لا تتطلّب مجهوداً في كلماته الأولى؛ لأن فمَ الطفل الرضيع إجمالاً يكون «كسولًا»، وأسهل الأصوات التي يبدأ الرضع الصراخ بها، هي أصوات أحرف العلّة المفتوحة منذ لحظة ولادتهم **(آ، وا)**، التي ترتكز على أصوات **(الفم المفتوح)**، وتسمى مرحلة (المناغاة والصراخ)، ويصدرها بشكل تلقائي ساذج، ويرى أحمد الزرقة أن الألف هي نقطة انطلاق اللغة من صرخة الطفل الأولى؛ فيقول: "إن الألف توصف بأنها **أمُّ الحروف العربية**؛ لشدة التصاق الصامت (ء) بالصائت فيها (ا)، وائتلافهما في وحدة صوتية لغوية هي نقطة الانطلاق؛ لفهم الأبجديات اللغوية المعروفة اليوم، ورأيت في وظيفتها الدلالية الحاكية للصوت الطبيعي الذي يصدره الطفل في صرخة الولادة الأولى، ثم مع الميم والباء (ماما بابا)، بأنها هيأت للتنقيب عن أسرار الحروف الأخرى"[59].

ومع تطوّر القدرات اللفظيّة، ينتقل الطفل إلى مرحلة (البأبأة والمأمأة)؛ وهي مرحلة القيام بأصوات **(الفم المغلق)**، وهي الباء والميم، لسهولتهما، ولذا يسارع الطفل إلى ترديدهما؛ فعند محاولاته الأولى للفظ الميم مثلاً، يقوم بالشدِّ على الحرف قائلاً: **(مممم)**، ثمّ إرخاء فمه؛ ليصدر حرف العلّة (اااا)، ومع التكرار، تأتي كلمة **(ماما بابا)**، ولعلّ الجاحظ قد سبق الجميع قديمًا؛ بقوله: «والميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما، وبابا؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين » [60]، وقد حلّ عالم اللغويات رومان جاكبوسون لغز بداية الكلام عند الأطفال، بقوله: «لو كنت طفلاً تصدر أصواتًا عشوائية، فإنَّ أسهل صوت يمكنك إخراجه سوف يكون **(آه)**؛ لأنَّ بإمكانك استخدام هذا الصوت دون أن تفعل أيَّ شيء بلسانك أو شفتيك، ثم لو أردت تنويع أصواتك؛ فإنَّ أول ما سوف يخطر ببالك أن تقطع هذا السيل المتدفق من صوت **(آآآآه)** بإغلاق شفتيك لبرهة من الوقت، منتجًا صوت **(مممممم)** خصوصًا أنَّ هذه الحركة تستخدمها بالفعل حال تلقيك

[58] هذا ما قاله العقاد في ندوة من ندوات منزله في مصر الجديدة في رمضان 1381هـ: نقلاً عن المقال السابق للدكتور: محمد حسان الطيان عضو مجمع اللغة العربية، "الشاعر الأميري... وكلمة "بابا".

[59] ميزان الألف العربية، أحمد زرقة، مطبعة العجلوني، دمشق، ص50.

[60] البيان والتبيين: 1/ 62.

الرضاعة، ومن ثمّ يكون الناتج النهائي لهذه الأصوات المتقطعة سلسلة من (ماه ماه ماه) » [61].

وبعد أن يتمكن الطفل من تكوين فونيمات حرفية، ينتقل إلى تكوين المقاطع المفتوحة بألف الإطلاق، أي أنه ينتقل تدريجيًا من الجزء إلى الكل، ولهذا نجد أن مقطعي (بابا/ماما) قد تكررا بين اللغات جميعاً؛ فبعد أن يبدأ الأطفال في إنتاج صوت (م) بشفاههم، فإنهم ينتقلون إلى صوت يتضمن ما هو أثقل قليلاً من مجرد ضم شفاههم، ومن هنا تأتي الباء سواء كانت مثقلة P أو مخففة b، ولهذا فكلمة (أمّ) عادة ما نجدها في لغات كثيرة؛ إما (ماما)، أو تحتوي على صوت أنفي قريب من الميم، مثل (نانا)، وكلمة (أب) أيضًا عادة ما تكون papa (بالباء الثقيلة)، أو تحتوي على صوت قريب من هذه الباء، في مثل كلمة (dad). وكلمة (داد) أيضًا قد تحتوي على الd أو الt، التي تعد تنويعًا لل(d، p،b) ولهذا يقول الناس، في كل الدنيا، ماما ونانا، وبابا (بالباءين المخففة والمثقلة) ودادا أو تاتا[62].

ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن الرضاعة والتقليد هما سبب بدء الطفل بهذين الصوتين؛ لأن عضلات النطق بهذه الأصوات هي نفس العضلات التي يستخدمها الطفل في الرضاعة[63]، فالتعبير بطريقة ما عن (مّا) بتشديد الميم ومدّ الألف، هي واقعة مصّ الطفل ثدي أمّه ترافقها حركة معينة، ثم تطور معناها من واقعة الرضاع إلى معنى الأمّ إطلاقًا–مرضعًا كانت أم غير مرضع– ومقطع (ماما) قد يقصد به الرضيع في المراحل الأولى **الإشارة إلى الطعام والماء**، وليس إلى أمّه؛ فتظن الأمّ أنَّ كلمة (ماما) موجهة إليها، وعندما تتكلم إلى طفلها تستخدم هذه الكلمة للإشارة إلى نفسها، ومن هنا ترسخ الاعتقاد بأنَّ كلمة (ماما) تعني أمًا.

المبحث الثالث

(الأب وأمّ)؛ خُصُوصِيَّات صوتيَّة ومقطعيَّة

مدار كلمتي **الأب والأمّ** على صوتَي الباء والميم المتحرّكين، ثم الهمزة مع (أب/أمّ)، وألفها المتحوِّلة مع (بابا/ماما)، وهذه الأصوات تتحرك على مساحة ثنائي الأُبُوَّة والأُمُومَة، وتمتلك القدرة على التعبير الدلالي، وإمداد اللفظين بمقومات الوضوح الوظيفي؛ فمجيء (الباء) مع كلمة (أب) بشدَّته وقلقلته؛ أحدث دويًّا صوتيًّا عاليًّا؛ عزَّز من دلالة (الأبوَّة)، ومجيء (الميم) بترقيقه وإيمائيته تلاءم مع طبيعة عمل (الأمُومة) الرقيقة، والألف والباء والميم أصواتٌ تتحركُ من أجل أداءٍ وظيفيٍ مرسوم للأبوين، كما سنرى:

جدول (3): بيان مخارج وصفات الأب والأم

الصوت	المخرج	صفته
الهمزة	حلقيٌ	انفجاريٌّ لا مهموس ولا مجهور
الميم	شفويٌ	أنفيٌ مجهور مرقق متوسط
الباء	شفويٌ	شفويٌ انفجاري مرقق مجهور

أولًا: الحركة الصوتية للأب والأمّ، ودلالاتها:

1–الهمزة بألفها، وخاصّية النَّبْر:

صوت الهمزة صوتٌ حنجريٌّ انفجاريٌّ لا مهموسٌ ولا مجهور، على رأي المحدثين من الأصواتيّين، تتسم بخصائص النبر والهتِّ، والهتُّ: الصوت بقوة، في

[61] لماذا "ماما" و"بابا"؟، جاكوبسون، ر. 1962م، كتابات مختارة، المجلد الأول: الدراسات الصوتية، لاهاي: موتون، ص 538-545.

[62] راجع: Why ‘Mom’ and ‘Dad’ Sound So Similar in So Many Languages، مترجم: لماذا تتشابه كلمتا «بابا» و«ماما» في الكثير من اللغات؟ يحيى أحمد، 14فبراير، 2017م.

[63] الأصوات اللغوية 216 - 217 وانظر كتاب الألسنية ولغة الطفل العربي لجورج كلاس ص80. وفقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد ص131.

مواضع متباينة[64]، والمرونة المتحولة؛ بتحولها من الهمزة إلى الألف أو الياء؛ هروبًا من تحقيق الهمزة في اللهجات القديمة والحديثة، وهذه المرونة جعلت الأُبُوَّة والأُمُومَة تتراوح بين **(بابا وماما)** ثم **(أب وأمّ)**، وسماها أحمد زرقة بالألف الأليفة؛ لأنها من الحروف القمرية الأسبق في الوجود والطبيعة، ولهذا تتصدر مع الأحرف الأولى التي ينطقها ويألفها الطفل[65]، ويصنِّفها عباس حسن، وقبله الأرسوزي ضمن الأحرف الهيجانية التي ورثناها عن العهود الغابية قبل الميلاد، واعتبرها عبد الحق فاضل الصوتُ الطبيعيُّ الذي ينطقه البشر جميعًا[66]؛ فاستعملها العربيُّ ببراعةٍ في مقدمة معظم أحرف النداء، وضمائر المتكلِّم والمخاطب؛ لأن صوتها الانفجاريَّ يثير انتباه السامع في النداء، ويدلُّ على الحضور والظهور والبروز مع الضمائر، ويعبرّ عن الحالات الانفعالية، مع الأنين والوجع(أح أح)، والتعجب(آه !)، والاستزادة (إيه !)، والضحك (أه، أه، أه)، والنداء (آ، أ..)..وهكذا.

أما الألف المتحولة من الهمزة؛ فهي امتدادٌ صوتيٌّ يشير إلى البعد الزماني والمكاني، ويتضح معناها الامتدادي في (ماما وبابا)؛ لسموّهما وعلوّهما [67].

2- (البـــاء) وتمثيل الأبوّة:

والباء صوت شفويٌّ مجهورٌ انفجاريٌّ (شديد) مستفل[68]، تدل خصوصيَّته الصّوتيَّة على التكلُّم والنطق، فالطفل يصدره مع الميم في مراحل نطقه الأولى بعد مرحلة المناغاة (بابا)، وهو من بأبأ الرجل إذا أسرع، ومن بؤبؤ العين، ومن البتّ والقطع، ويقال بأن كلمة **(أب)** متطورة من صوت طبيعي يطلقه الإنسان في حال الدفاع أو الهجوم، فإذا لاحَظَ مَن حوله أنه أتَى بهذا الصّوتِ المُحَبَّب بادَروا إلى تَشجيعِهِ، وأخَذوا يُرَدِّدون له هذا الصَّوتَ، ومن صفاتها الشدة الناتجة عن انضغاط الهواء عند الشفتين، ثم اندفاعه فجأة، عندما تنفرجان، وهي ملحوظة في البيت، والبر، والبيئة، والباب المدخل، و(البِمْ) أغلظ أصوات العود[69]، أمّا العلايلي، فيقول عن دلالة هذا الحرف: "إنه لبلوغ المعنى، وللقوام الصلب بالتفعُّل"[70]، وأسند الأرسوزي إلى (الباء) معاني (البيان والانبثاق والظهور) [71]، وهي صحيحة؛ لتوافقها مع خاصية الانفجار في صوته، وعند الجمع بين هذه الأقوال نجد أن صوت الباء في **(أبْ)** عندما ينطقه الإنسان يطبق شفتيه، ثم يفتحها فيصدر الباء، محققًا خاصيَّة الانبثاق والظهور؛ وهذه الملامح تكون مرسومة بما يتلاءم تمامًا مع ملامح الأب القوية الشديدة الباسمة المتسعة الضخمة، وما يظهر على وجهه؛ فانسجمت الباء مع ما يؤدّيه الأبُ، من عمل وظيفي.

3- (الميم)، وتمثيل الأُمُومة:

صوتٌ شفويٌّ أنفيٌّ، مجهورٌ مرقَّقٌ، متوسط بين الشدة والرخاوة ذات قوة إسماعية عالية، وهو صوتٌ ذو طبيعة تعدُّدية إلى حدِّ التناقض؛ فانطباق الشفتين يماثل الأحداث الطبيعية التي يتمُّ فيها السدّ والانغلاق، كما أنّ ضمّ الشفة على الشفة بشيء من الشدة والتأني قبيل خروج صوت الميم يمثّل بداية الأحداث التي يتم

[64] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، 1984م، ط5، ص185، علم الصرف الصوتي، عبدالقادر عبدالجليل، دار الصفاء، الأردن، ط1، ص91.
[65] أسرار الحروف، ص110.
[66] مغامرات لغوية، دار العلم للملايين، بيروت، ص194.
[67] راجع: خصائص الحروف، ص101، والمؤلفات الكاملة، مج1، والأر سوزي، ص 311، 236، 151.
[68] أ الأصوات اللغوية، أنيس ص173.
[69] أسرار الحروف، أحمد زرقة، دار الحصاد للنشر، دمشق، ط1، 1993م، ص130.
[70] راجع: تهذيب المقدمة اللغوية، عبد الله العلايلي، ت: أسعد علي، 1968م، ص 62.
[71] المؤلفات الكاملة، مج1، زكي الأرسوزي، ط2 ،1987.

فيها المَصُّ بالشفتين والجمع والضم؛ ولذا فمن معانيه عند العلايلي (الانجماع)[72]، أما شوقي حمادة؛ فنصّ على اشتمال الميم معنى الانغلاق والضمنية؛ بقوله: "الميم تدلُّ على الانغلاق والضمنية، (مصَّ، وشمَّ، وضمَّ، ولمَّ، وطمَّ، وجَمَع)، وأضاف: أن لفظ الفم جاء من فاء الفتح، وميم الغلق"[73]، أما انفراج الشفتين أثناء خروج صوت الميم فهو يمثل الأحداث التي يتم فيها التوسع والامتداد والانفراج، مثل: مرن، ملس، ماع، واستشفَّ منها الباحث أحمد زرقة؛ صورة المصِّ والامتصاص، وسمعها في الململة والمضمضة، وفي زمام النار، أي أصوات لهبها، وفي زمزمة الجماعة من الناس[74]، وفطن عباس حسن إلى توظيف الخصائص الإيمائية لهذه الأحرف(م/ل/ف/ث/ذ)، التي تتجلى في طريقة النطق بأصواتها، فاستفاد من هذه الخصيصة في تحديد معنى (الأمّ) وعملها؛ لأن (الميم) يبدأ تشكُّله بضمِّ الشفة على الشفة بشيءٍ من التأنِّي حبساً للنَّفس، ثم يكتمل بانفراجهما عن بعضهما البعض، وهاتان الحركتان الإيمائيتان تمثلان أحداث **(المصّ والرضاع والحلب والاستخراج من الأشياء المجوفة)**، ثم أشار إلى ملامح الميم الإيمائية، في المرحلة الزراعية حيث **تصدرت (الأمّ) الزعامة**، فيقول: "الميم إحدى الحروف الإيمائية، وقد ورثناها عن المرحلة الزراعية التي تلت المرحلة الغابية، قبل الميلاد، وكانت الزعامة في هذه المرحلة للمرأة الأمّ، قد فرضت عبادتها على الرجل: ربة للخصوبة تارة، وربة للزراعة تارة أخرى، فأبدعت الأصول الحركية لهذه الأحرف خصيصاً للتعبير عن حاجاتها الأسروية والمنزلية والمهنية في المرحلة الزراعية"[75]، ويؤكد هذه المعاني الدالة على الأمُومة الأستاذ عبدالله العلايلي، بالرجوع إلى المعجم الوسيط في كل إحصاء، وحصر المصادر الميمية، بقوله: "فكان لهذه المعاني(33) مصدراً جذرياً تبدأ بها، فأطلقوا على الأمّ المرضع (ماما) ، ثم أطلقوها على كل (أمّ) أمرضعاً كانت أم غير مرضع، وقد تسربت هذه اللفظة يقيناً إلى اللغات الغربية، ثم تحولت (مّا) الزراعية إلى (أمّ) الفصيحة في المرحلة الشعرية، تخلصاً من (غوغائية) الأحرف الجوفية (ا–و–ي)"[76]، وهذه العذوبة في الصياغة والجرس البالغ في النفس في الأمّ بميمها الذي يوحي بذات الأحاسيس اللمسية التي تعانيها الشفتان لدى انطباقهما، من الليونة والمرونة؛ ليكون أكثر تمثيلاً لمعاني المصِّ والرضاعِ، والضمِّ، والانجماعِ، والسدِّ، والانغلاق، والضمنية، ثم انفراج الشفتين أثناء خروج صوت الميم؛ ليمثل الأحداث التي فيها التوسع والامتداد، مع إيحاءات الرقة والإحاطة، فاجتمعت هذه الخصائص كلها في الأمُومة.

إن هناك تلاؤمًا وانسجامًا بين لفظتي الأب والأم، وجرس حروفهما؛ فالباء والميم؛ يتبادلان؛ لأن مخرج الباء قريب جداً من مخرج الميم في الفم، فلو سددت أنفك وقلت (ماما) لخرجت من فيك (بابا)، فكلاهما كما يبدو أخوان، يتبادلان موضعيهما؛ لقرب مخرجيهما كما قلنا قبل، وقد قالت العرب: كمح بمعنى كبح، وتراكم بمعنى تراكب، ولازم بمعنى لازب، بل قد جاء اسم مكة في القرآن بمعنى بكة [77].

[72] تهذيب المقدمة اللغوية، ص62.
[73] معجم عجائب اللغة، شوقي حماده، دار صادر، بيروت، ط1، ص24.
[74] أسرارا لحروف، ص131.
[75] خصائص الحروف العربية، حسن عباس، ص 72.
[76] تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي (3)، ص 50 -51).
[77] دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار النعمان، بيروت، ط3، 1976م، ص215.

إن (الباء والميم) صوتا (الفم المغلق)، يصدران من مقدمة جهاز النطق، بل من نسقه الأول، ويمثلان الأُبُوَّة والأُمُومَة الرمزية؛ للأحرف بل للحياة، فهما المنطلق للبدايات كلها؛ فبهما بدأت مسيرة الحياة من صلب (الأب) إلى بطن (الأم)، وسارع الطفل إلى ترديدهما؛ لتنشأ اللغة، وبالباء استهلت البسملة وبالميم ختمت، والبسملة؛ هي الشرط الافتتاحي للقرآن والأقوال والأعمال.

ثانياً: الحركة المقطعية للأب والأمّ ودلالاتها:

إنَّ الثنائية المؤلفة من مقطع صوتي واحد، في كلمتي **(أمْ/أبْ)**؛ لا توجد إلا في الطبيعة نفسها، فحين يحاكي الإنسان ذلك المقطع الثنائي الموجود في الطبيعة يضطر إلى أن ينطق بعده مباشرة مقطعًا صوتيًّا جديداً (أمْ + مَ) اقتباساً من الثنائية الطبيعية، وهذه المقاطع تتلاقى مع المقاطع الطبيعية الموجودة في كلامنا العربي مثل "آ"، فهي علامة مقطعيَّة دالة على الفرح والاستحسان والبهجة والسرور والحبور، وكذا المقاطع المفتوحة بحروف المد، وعنها يقول أحمد زرقة: "**(أو)** علامة للتعجب والدهشة والاستغراب، و"**إي**" التي اصطلح أن تكون بنقطة واحدة تمييزاً لياء الإمالة عن أختها الياء المشبعة، وهي علامة للجواب والموافقة وهناك، "**إي**" علامة الحزن والتقزز، وما إلى ذلك من المعاني المختلفة لمثل هذه المقاطع[78].

جدول (4): لبيان مقطعي أب وأم/بابا وماما

الكلمة	أب + أمّ	بابا + ماما
المقطع	ص ح ص+ ص ح ص	ص ح ح+ ص ح ح
الرمز	القصير المغلق	الطويل المفتوح

نستنتج من الجدول، أن **(أبْ/أمْ)** قد سيطر عليهما المقطع القصير المغلق بحرفين شفويين ساكنين يخرجان بإطباق الشفتين، وفي هذا إيحاء بأنهما دائرة مغلقة في فضلهما ومكانتهما ومنزلتهما التي لا تدانيها منزلة على الإطلاق، وترجع أهمية مقطع **(أب/أمّ)** المغلق، إلى أنه الحقل الذي ظهر فيه النبر الخاصّ بالهمزة؛ لأن وظيفة الهمزة تباينية، وأن الذي يحقق وجودها، أو يسلبها قيمتها هو النبر؛ فالأساس في هذا الصوت هو الضغط والهت والنبر، وما الهمزة إلا نوع من أنواع النبر، كما يشارك في الدلالة إلى جانب معرفة طبقات الصوت التي ترتبط بالمقطع المغلق.

أمّا**(بابا/ماما)**، فقد سيطر عليهما المقطع المفتوح بألف الإطلاق، وفي طول المقطع مبالغة في المعنى؛ وإطلاق للمكبوت؛ للتأثير في السامع، ويتحقق هذا في أصوات المد (الألف، والواو، والياء)؛ لأنها أوضح في السمع، وأكثر أثراً في النفس من الأصوات الساكنة، وهو ما نلمحه مع: ماما بابا؛ فطول الصوت زادهما دلالةً وتأكيداً، ووضوحاً وامتداداً، وسهولة وخفة، وحتى تكون قادرًا على فهمي قم بلفظ مقطع (أب/أم) وحده، ومن ثم قم بلفظ مقطع (با/ما)؛ ستجد أنّ الجهد المبذول في مقطعي (با/ما) أقل وأسهل بكثير من مقطعي (أب/أم)، وقد عرفنا في المبحث السابق أن المقاطع المفتوحة، ساعدت الطفل في التعرف السريع على: بابا، وماما، ونانا، ودادا، وسهّلت لنا تدريبه على الانتقال إلى كلمات ذات معنى.

المبحث الرابع
الأب والأمّ، خُصُوصِيَّات صرفيَّة

[78] أسرار الحروف، أحمد زرقة، ص24.

اللغة الصرفية تحَذِفُ أو تُضعِّفُ، أو تُصغِّرُ أو تَنسِبُ، أو تُثنِّي أو تجمع؛ لاستيعاب الدلالات اللغوية لمضامين الأُبُوَّة والأُمُومَة، وإثرائها، أو إلحاقهما صيغتها البنائية بوحدات لغوية أخرى.

جدول (5): يلخص التحليل التصريفي للأب والأمّ

الحالة	أبْ	أمّ
الجذر	ءبو	ءمم
الميزان	فَعْ	فُعْل
المصدر	أبوَّة	أمومة
الحالة	مذكر	مؤنث
التثنية	أبوان /أبان	أُمَّان
الجمع	أبون/آباء/أُبُوّ/ أُبُوّة/أبات	أُمَّهَات/ أُمَّات
النسب	أبَويّ	أموي/أُمّيّ
التصغير	أُبَيّ	أمَيْمَة/أميهة/أُمَيْمِهَة
العلة	حذف الواو (أبو)	تضعيف الميم (أمّ)

وسنلقي الضوء على ماورد في الجدول السابق، في النقاط التالية:

1- البنية الصرفيَّة للأب والأمّ:

(الْأَبُ) أصله (أب)، في صورة مفرد مذكر، وجذره (ءبو) وجذعه (ءب) وتحليله (ال + أب)، ومصدره (الأُبُوّة)، أما (الأمّ) فأصلها (أُمٌّ) في صورة مفرد مؤنث، وجذرها (ءمم)، وتحليلها (ال+أم)، ومصدرها الْأُمُومَةِ.

2- الميزان الصرفي للأب والأم:

(الأَبُ) أَصله **أَبَوٌ** بالتحريك، على وزن **(فَعَلٌ)**؛ لأَن جمعه آباءٌ وتثنية أَبَوانِ، وبعض العرب يقول أَبانِ على النَّقْص وفي الإِضافة أَبَيْكَ [79]، وأبْ على وزن **(فَعْ)**؛ لأن لامه حذفت؛ ويحذف في الميزان ما يقابله في الموزون. **أما (الأُمّ)** فيختلف ميزانها الصرفي على الاختلاف في أصلها، فهناك من يعتبر أصلها (أمّ) ويجمعها على (أمّات)؛ باسقاط الهاء؛ لغير العقلاء غالباً، وهناك من يعتبر أصلها (أمَّهَةٌ)؛ ويجمعها على (أمّهات) للعقلاء غالباً؛ فيكون الوزن على ذلك: **أمٌّ** على وزن **(فُعْل)**، وأمّات على وزن **(فُعْلات)**، أما **(أمَّهَةٌ)** على وزن **(فُعْلَهَةٌ)**، وأمهات على وزن**(فُعْلَهاتٌ)**، فأجاز ابن السراج أن تكون الهاء أصلية، وتكون فُعَّلَةً مثل قُبَّرة وأبَّهة، ويقوي قوله ما جاء في (العين): تأمّهت أمًّا، بمعنى اتخذت، ثم حذفت الهاء فبقي (أمّ) ووزنه فُعْ، فإن ثبت هذا فأمّ وأمهة أصلان مختلفان[80]..

3- بنية (الأبِ والأمّ) بين الحذف والتضعيف، ومقاصدهما:

(أب وأمّ) أسماء تبدو في ظاهرها ثنائية الوضع، لكنها في السياق التصريفي ثلاثية، بدليل التثنية في (أبَوان)، حيث حذفت لامه في المفرد وأصله (أَبَوٌ) [81]، واستثقالهم تضعيف الميم في (أُمَمْ)؛ فأدغموها في الميم فأصبحت (أمّ)، ويظهر ذلك في تحديد القدماء لأقل الأبنية؛ إذ يرون أن "أقلّ الأبنية ثلاثة حروف؛ حرف يُبدأ به، وحرف يحشى به، وحرف يوقف عليه"[82]، ولاحظ القدماء أن هذه الكلمات الثنائية ذات أصول ثلاثية حُذف أو ضُعِّف أحد أصولها، ولاحظوا كذلك أن الحذف يكاد يقتصر في أغلبه على لام الكلمة، وقليل منه حذف العين، يقول ابن جني: "ألا ترى إلى كثرة حذف اللام في: يد ودم وأب"[83]، وفسر القدماء الحذف على أنه للتخفيف؛ إذ يقول المبرد: "هذه الأسماء المحذوف منها لا يكون ما

[79] راجع: لسان العرب 15 / 417 .
[80] العين،494/8، والأصول في النحو 3 /336، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، الصبان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان4/ 376.
[81] لسان العرب أبي 6/14.
[82] شرح المراح، محمود بن أحمد العيني، تحقيق: عبدالستار جواد ، د.ت .41
[83] الخصائص 487/2.

حذف منه إلا حرفَ لينٍ أو حرفاً خفياً؛ أو مضاعفاً يستثقل فيه التضعيف؛ فيحذف"[84]، ومع أن العرب تكره الحذف من الكلمات الثلاثية، لكنها لم تكره الحذف مع هذه الكلمات؛ لأن الحذف فيها كان تخفيفاً من ثقل كان سببه وجود حرف خفي أو حرف لين، فإنهم يستثقلون في ذلك الحركات على حرف اللين أو الحرف الخفي[85].

وجريًا وراء قانون اختزال الجهد، الذي يميل الإنسان على ضوئه إلى مبدأ السهولة واليسر للوصول إلى مقاصده، وبما أن مفتاح اللغة المنطوقة بيد المتحدثين؛ فإن الأصوات عرضة للتبدل، ويبدو أن الأصوات الصائتة أكثر مرونة من الأصوات الصامتة في قبول هذه الظاهرة؛ لعدم احتياجها إلى عناء في التحقيق الإنتاجي، وهذا يفسر لنا ذوبان الصوائت الطويلة على نهايات هذه الوحدات:

أبُ ← فَعُ ← أبوْ: فَعُلْ.

أما (الأمّ) فحدث فيها التضعيف (الإدغام)، فتحولت إلى ما يشبه الثنائي، وتحقيق ظاهرة الإدغام في المستوى الصوتي ذو غرض قصدي، مساره التخفيف:

(أُمْم) ← (أُمٌّ) ← فُعْل.

ويميل آخرون إلى أن بعض هذه الكلمات ثنائية الوضع لا ثلاثية في الأصل، أي أنها مؤلفة من حرفين في الأصل، وتمثل في العربية وأخواتها الساميات صيغاً اسمية قديمة انقرض معظمها، ولكنها في تصريفها تتحول الى صيغ جديدة بزيادة الواو أو الياء او الهمزة **(أبوان، ويديان، وآباء)**، وعلى هذا تكون هذه الزيادات على غير ما ذهب إليه القدماء، فهي ليست لامات في الكلمة بل أصوات اُجتلبت لتكثير بنيّة الكلمة الثنائيَّة في التصريف [86].

4- (الأب والأم)، والنسبة إليهما:

عند النسبة إلى الأب تُردُّ اللام: **أَبَوِيّ**؛ لقولك في التّثنية أبوان؛ فاللام المحذوفة تردّ عند النسب وجوباً، ويظهر أن ردّ اللام جاء للحرص على ثلاثية الكلمة، وما ردها في التثنية والجمع والنسب كذلك إلا امتداد لهذا الحرص، مثل: أب **أَبَوِيّ**؛ لأن مثناها أَبَوان، فمثلاً: الأب الأصل أبو والتثنية أبوان [87]، حيث ردت الواو المحذوفة، وعند إضافة لاحقة النسب لهذه الألفاظ تصبح:

أبو + يّ ← أَبَوِيّ.

يقول الاستراباذي: "فإن كان اللام ثبت رده من غير ياء النسبة في موضع من المواضع، وذلك إما في المثنى أو في المجموع بالألف والتاء أو في حال الإضافة، وذلك في الأسماء الستة، رُدَّ في النسب وجوبًا"[88].

وأَبَوِيّ: اسم منسوب إلى الأب؛ لأنه شمله بعطفه الأَبَوِيّ، ويقال: عاطفة أَبَوِيَّة، ونصيحة أَبَوِيَّة: صادرة من أب لابنه أو ممَّن هو في مقام الأب، **وعند النسبة إلى (أمّ)؛ فالأصل أن نعيد المحذوف ونضيف ياء النسب، فنقول: (أُمَوي)، وقيل (أُمِّيّ)**، وأمّ كل شيءٍ أصله، ومنه قيل للنبي أُمّيًا؛ لأنه نسب إلى أم القرى، وهي مكة، ويقال: بل نُسب إلى أم العرب، أي أصلهم، وكانوا لا يقرؤون ولا يكتبون، فقيل لكل من

[84] المقتضب، المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ت، 1/22-227-269/3/17.
[85] ظاهرة التخفيف، أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996م، ص178.
[86] التطور النحوي، برجشتراسر، تعليق: رمضان عبد التواب، دار الرفاعي، الرياض، 1982، ص61، والعربيَّة الفصحى هنرى فلش53
[87] همع الهوامع، السيوطي 167/6، شرح التصريح، الأزهري133/2.
[88] الاستراباذي، شرح الشافية 63/2-64.

لا يقرأ ولا يكتب (أميٌّ)، أي أنه على حاله كيوم ولدته أمه.

وإذا صُدِّر المركب الإضافي بأَبٍ أَو أُمٍّ أَو ابنٍ، مثل: أَبي بكر، وأُمّ الخير، وابن عباس، نسبت إلى العجز فقلت: بكري، وخيري، وعباسي [89].

5- تصغير (الأب والأم):

تصغير **(أب) أُبَيٌّ**، وتصغير (الآباء) على وجهين؛ فأجودهما: **أُبَيُّون**، والآخر: **أُبَيّاء**؛ لأنّ كل جماعة على أفعال فإنّها تصغّر على حدّها؛ فـ(الأب) مما حذفت لامه؛ لأن تثنيته (أبوان)؛ وعند التصغير فإنها ترد؛ لأن أصلها (أبو)، فتصير: أُبَيْو، فاجتمعت الياء والواو في كلمة واحدة، والأولى منهما ساكنة، فسقطت الواو فقلبت ياء، وأُدغمت فيها ياء التصغير: **أُبَيّ**[90]: **أَب ← أَبو← أبيو ← أُبَيّ.**

أما تصغير (أمّ) فهو **أُمَيْمَة**؛ أحب الأسماء عند العرب؛ والأصل: **أميهة**؛ لأن تفسير الأم في كل معانيها: أَمَه؛ لأن تأسيسه من حرفين صحيحين، والهاء فيه أصلية، ولكن العرب تحذف تلك الهاء إذا أمنوا اللبس؛ لذا يقال في تصغير أم: أُمَيْمَة. [91].

6- جمعُ كلمةِ الأب:

يجمع الأب جمع مذكر سالم على: **أَبُونَ**، وجمع تكسير على: **آباءٌ وأُبُوٌّ وأُبُوَّةٌ**، وجمعُ مؤنثٍ شاذٍّ على: **أبات**، ويجوز أَن يجمع الأَبُ بالنُّونِ، فيقال هؤلاء أَبُونَكُمْ أَي آباؤكم وهم الأَبُونَ، وأجودها **(الآباءُ)** بالمدِّ، ومن العرب مَن يقول: أُبُوَّتُنا أكرم الآباء، يجمعون الأَب على فُعُولةٍ؛ كما يقولون هؤلاء عُمُومَتُنا وخُؤُولَتُنا. [92].

7- جمع كلمة (الأمّ) بين الأمَّات والأمَّهات:

كثر الحديث حول جمْعِ (أمّ) بين(أمَّهات) بالهاء، و(أمّات) بدون هاء؛ فأيُّهما الصواب؟ جاءَ في اللسان: "وجمع الأمّ: أُمَّات وأُمَّهات، فالأُمَّهاتُ؛ فيمن يعقل من النَّاس، والأُمّاتُ؛ فيمن لا يعقِل من البهائم"[93]، وقال الجوهريّ: أصل (الأُمّ): (أُمّهه)، ولذلك تجمع على (أُمَّهات)[94]؛ لأن بعضهم يرى أن الهاء أصلية (أمه)؛ كما رأينا في التصغير؛ وحذفت الهاء؛ لأنهم أمنوا اللبس.

فائدة الانزياح الجمعي من (أُمّات) إلى (أُمَّهات):

الأصل المعياري الظاهري في جمع أمّ هو (أمّات)، لكن العرب انزاحوا في استعمالهم إلى إدخال الهاء؛ فقالوا (أمهات)؛ ثم خصصوها للأمهات العاقلات؛ أما (أمّات) الأصلية؛ فجعلوها غالبًا؛ لغير العقلاء؛ فنقول: (أمهات المؤمنين) و: (أُمّات الكتب)؛ فما قيمة اللاصقة الصوتية (الهاء)؟

لقد اعتمدها المتقدمون للاستراحة والتبيين والإيضاح؛ فسموها **(هاء السكت)**، وزيادتها قد تكون **قياسية**: كهاء السكت؛ للمحافظة على وضوح القيم الصوتية والتبيين والاستراحة عند الوقف، مثل (لِمَه وعَمَّه)، **أو زيادة سماعية**: كاختيار الهاء دون غيرها؛ لإسعاف جمع (أمّ) اللفظ التداولي المستعمل المحبوب؛ وإزاحته من (أمَّات) الملبس الثقيل؛ إلى (أمّهات)؛ وإظهار قيمتها الصَّوتية بالهاء؛ لما يتميز به الهاء عند إنتاجه من إرسال الشحنة الهوائية دون إعاقة؛ فهاء (الأمهات) انزاحت؛ لمنح جمع الأمهات الاستراحة والتبيين والتعظيم؛ بل لمنحه بُعدًا قلبيًا؛ لأن

[89] الموجز في قواعد اللغة العربية 1 / 165
[90] المستقصى في علم التصريف، د.عبد اللطيف الخطيب، مكتبة دار العروبة للنشر، الكويت، 2002م، 898/1.
[91] راجع: تهذيب اللغة، الأزهري 452/15.
[92] لسان العرب 15 / 417
[93] لِسان العرب 154/1.
[94] الصحاح؛ للجوهري 1836/5.

مخرجها من أقصى الحلق قريبٌ من القلب؛ للإيحاء بأن الأمهات محلها القلب.

فالهاء منحت جمع (الأمهات) قيمة صوتيَّة صرفيَّة دلاليَّة جميلة [95].

8- الانزياحات الصرفية عند تثنية (الأب):

نهجت العربيةُ في تثنية (أب) ونظائرها؛ منهجين: **أحدهما:** أن تعيد الأصل المحذوف، وهو شبه الحركة إلى بنية الكلمة، فقالوا: أبوان، وأكثر ما جاءت تثنية الأسماء الستة على هذا الوجه، **والثاني:** أن يبقى المحذوف على حذفه، ولا يعاد أصله المحذوف، وإن لم يكن قد عوض عنه بحرف آخر، بمعنى أنهم أجروا التثنية على لفظ المفرد من غير إعادة الأصل المحذوف مع الأسماء الثلاثية، من مثل: أبان وأخان وفمان[96]، وهذا هو الوجه الأقل فيهما، ويتضح من النمطين اللغويين لتثنية الأسماء الستة أن مورفيم التثنية هو في الصورتين الواردتين عن العرب؛ لأنه القياس اللغوي؛ وليس هناك تفسير لوجود الواو؛ إلا أنها أصلية في بنية الكلمة الثلاثية، بدليل أن النسب إليها أبَويّ وجمعها آباء والمصدر الأُبُوّة[97]، وهذا يقودنا إلى حديثٍ عن انزياح البنية الكبيرة إلى بنية صغيرة بفعل القوانين الصوتية؛ أي أن السبب لسقوط الواو (شبه الحركة) في (أبوان) ومجيء الصورة الأخرى على (أبان) **صوتيٌّ**، وهذا تفسير لغوي معقول؛ للتخلص من المزدوج الحركي كنوع من التطور اللغوي.

المبحث الخامس
(الأب والأم) خُصُوصِيَّات ندائية

يمثل النداء ظاهرة غريزية، ووسيلة اتصال وتواصل بالغة الأهمية في الخطاب، وإذا كانت كلمة (بابا) قد حظيت بالتوسع الدلالي من سياق النداء للولد أو الوالد، إلى سياق الدلالة المطلقة على الوالد، وإن لم يكن ثمة نداء، وإلى سياق اللقب لإحدى المهن أو الدلالة على اسم شخص، فنبرة الصوت، وتعابير الوجه، وتعدد اللفظ أثناء النداء، ليست واحدة، وإنما يقتضيها المقام؛ فنداء الجندي لقائده؛ يختلف عن ندائه لزميله.. وهكذا.

أولاً: مراتب نداء الأقارب:

ونداء الأقارب المضافة إلى ياء المتكلم درجاتٌ ومستوياتٌ؛ قد تأخذ **خطًّا علويًا، أو سفليًا، أو أفقيًا:**

1- فما يأخذ خطًّا علويًّا:

وهو نداء الآباء لأبنائهم، ويكون من الأعلى إلى الأسفل، وميّزه القرآن بأداة النداء (يا) مع لفظ البنوة مُصغرًا (بُنَيَّ)؛ دلالةً على المحبة وإخلاص النصح، وتنبيهًا على شدة قُرب مكانة الابن من الأب.

2- ما يأخذ خطاً سفلياً:

وينفرد به (الأب والأم)، ويتمثل في نداء الأبناء لآبائهم؛ ويكون من الأسفل إلى الأعلى؛ وخصَّصَته العربية بعشر لغاتٍ (لهجات)؛ لأهميته، وكثرة استعماله؛ ستٌّ منها للمنادى المضاف إلى ياء المتكلم، مثل: (يا معلمي)، وأربعٌ تتفرد بها **(الأب والأم)**؛ لتصبح عشر لغات، بنبرة صوتية تناسب المقام، فيها استعطاف وتوسُّل، ولا شكّ أن (الأب والأم) أكثر الأسماء مناداة؛ لأننا أول ما نفتح أعيننا في طفولتنا على هذين الثنائيين، فهما أكثر قرباً والتصاقاً بنا، وقد اُتُّهم بعض النحاة بالفلسفة والتنطُّع

[95] علم الصرف الصوتي 92
[96] شرح الكافية الاستراباذي2/175.
[97] شذا العرف، الحملاوي 100.

في إيراد عشر لغات، ثم الاختلاف في إعرابها، لكننا نعذرهم عند الاطلاع على القراءات القرآنية المتعددة للأب والأم، المطابقة للوارد من كلام العرب، على تفاوت كثرةً وقلةً واستعمالاً، وأصل الكلمة في النداء **(يا أبي/يا أمي)**، لكننا نجد في اللغة العربية كلمات (أبي/ أمي) و(أبتِ/أمتِ) و(أبتَاهُ/أمتاه) و(أَبَة/أمَّة)، ولكل منها مَلْحظ لغوي في سياقه؛ ويسعى البحث الى تتبع صور نداء شريكي الحياة (الأب والأم)، وأبعاده اللغوية، والنفسية والانفعالية التي تظهر في المعنى؛ فيتغير المبنى؛ تبعًا للموقف الذي قيل فيه النداء.

جدول (6): ما انفرد بعشر لغات ندائيَّة، وهو الأب والأم

اللغة	الأبُ	الأمُّ	التغيير
الأولى	**يا أبيْ**	**يا أميْ**	بالياء الساكنة.
الثانية	**يا أبيَ**	**يا أميَ**	بالياء المفتوحة.
الثالثة	**يا أبِ**	**يا أمِّ**	بحذف الياء والاكتفاء عنها بالكسرة.
الرابعة	**يا أبَا**	**يا أمَا**	بقلب الكسرة فتحة، والياء ألف
الخامسة	**يا أبَ**	**يا أمَ**	بحذف الألف والاكتفاء عنها بالفتحة.
السادسة	**يا أبُ**	**يا أمُ**	بحذف الياء تخفيفًا وضم الاسم.
السابعة	**يا أبتَ**	**يا أمتَ**	بحذف الياء، والتعويض عنها بتاء مفتوحة
الثامنة	**يا أبتِ**	**يا أمتِ**	بحذف الياء والتعويض عنها بتاء مكسورة
التاسعة	**يأبتُ**	**يا أمتُ**	بحذف الياء والتعويض عنها بتاء مضمومة
العاشرة	**يا أبتا**	**يأمتا**	بحذف الياء والتعويض عنها بتاء وألف.

3- وأدناها ما يأخذ خطًا أفقيًا، وهو نداء الأخ لأخيه.

وهذه الصيغ الندائية الخاصّة يتجلى فيها الأدب القرآنيُّ والخلق الكريم، في كيفية خطاب الابن لأبيه، بوصف الأبوّة (يا أبت)، وخطاب الأب لابنه بوصف البنوة (يابُني) والأخ لأخيه؛ بوصف الأخوة: (يابن أمّ)، ولعلّ في ذلك عبرة وعظة في التربية والأخلاق والقيم.

ثانيًا: أسرار انزياح النداء إلى التاء، وحذف الياء (يا أبتِ يا أمتِ):

تمنحُ اللغة العربية مقام (الأبِ والأم)، في النداء عشر لغات – كما أسلفنا- تفخيماً لمقامهما، لكنّ أعظم هذه اللغات تحبُّبًا، وأكثرها استعمالًا وتواترًا في القراءات القرآنية **(يا أبتِ)** نادى بها إبراهيمُ أباه آزر، وإسماعيلُ أباه إبراهيم، ويوسفُ أباه يعقوب، وهذه خُصُوصِيَّات تعكس دلالات نفسية واجتماعية؛ لأقرب شخصين في حياتنا، خرجنا من صُلب الأول (الأب)، ومن رحم الثاني(الأم)؛ وما قلناه عن الأب ينطبق على الأمّ.

ولسائلٌ أن يسألَ: لماذا انزاح النداء القرآني عن صيغة ياء المتكلم؛ إذ هي الأصل في نداء الواحد لأبيه؛ إذ نقول **(يا أبي)**، كما نقول: (يا ابني/ يا معلمي)، إلى صيغة جديدة، وهي **(يا أبتِ)** فجاء بالتاء – وهي حرف طارئ- عوضًا عن الياء المحذوفة، فمن أين زحفت هذه التاء المبسوطة، وماهي أسرارها؟ **أجاب أهل اللغة:** أن التاء لم تزحف زحفاً، وإنما جاءت

تسعى على قدمين، حاملةً ملامح بلاغية، ودلالات إضافية، نلخصها في النقاط التالية:

أولاً: هناك من يرى أن هذه التاء هي تاء التأنيث، مثلها مثل التاء في خالة، وهذا رأي سيبويه والخليل بن أحمد [98](يا أبه/يا أمه).

ثانيًا: وهناك من يرى أن التاء عوضٌ عن ياء المتكلم المحذوفة، فالأصل: **يا أبي ويا أمي**، فحذفت الياء لدلالة الكسرة عليها، ثم عوّض عن الياء بهذه التاء، ولذلك لا نقول: يا أبتي ويا أمتي، لئلّا نجمع بين العوض والمعوض، بمعنى: إما أن تزاد التاء وتحذف الياء، وإما أن تزاد الياء وتحذف التاء، فلا يجمع بين زائدتين، لذلك بقيت التاء – في هذا النداء– وحذفت الياء، إذ لا يجوز إثباتها [99]، والرأي الأول لاثنين من أساطين النحو واللغة؛ وهما الخليل وسيبويه، لكن ذوقنا ورأينا يرجح الرأي الثاني.

ثالثًا: وهناك من يرى أن دخول التاء خاصٌّ بنداء (الأب والأم) لمعنى **المبالغة** [100]، فمثلاً تقول: **يا أبتِ أُدْعُ لي**؛ لتستثير عاطفة الأبوة، والشفقة والحنان للاستجابة لطلبك؛ لأن السياق يستدعي موقفًا شعوريًا وإحساسًا؛ لا تمثله صيغة **(يا أبي)** التي تستخدم في النداء العادي.

رابعًا: هناك رأي يقوّي مذهب المبالغة السابق، وهو قراءة فتح تاء **(يا أبتَ)**، إذ الأصل (يا أبتا)، وقبل توضيحه نعرض لأهمّ القراءات لـ(يا أبت):

جدول (7): يلخص القراءات القرآنية لـ(يا أبت)

النص القرآنيّ	أوجُه القراءة	القارئ	كيفيَّة القراءة
يا أبت	**يا أبتَ**	ابن عامر اليحصبي	بفتح التاء
	يا أبتِ	الجمهور	بكسر التاء

وأكثر القرّاء على قراءة **(يا أبتِ)** باستثناء مقرئ بلاد الشام عبدالله بن عامر اليحصبي، فقَد قرأ **(يا أبتَ)** بفتح التاء[101]، فحذف الألف **(يا أبتا)**، واستبقى الفتحة **(يا أبتَ)**، للدلالة على الألف المحذوفة، وهذه الصيغة تذكرنا بصيغة أخرى من صيغ النِّداء تسمى (الندبة) تأتي للتفجع والتوجع؛ حيث تزاد الألف والهاء على المنادى العام، ولو أراد الواحد منا نداء الأب في سياق الندبة؛ فينبغي أن يقول (وا أبتاه)؛ فيجلب التاء حتى لا يقول (وا أباه)؛ لأن صيغة هذا النداء تنصرف إلى الغائب، والمفروض أن تنصرف إلى ضمير المخاطب، ولا يصحّ نداء المخاطب إلا بزيادة حرف التاء، ومن هنا لازمت التاء نداء الأب **(يا أبتَ)**؛ للتحبُّب والتوسُّل واستثارة العاطفة الأبوية، وأجازوا نداء الأم على شاكلة نداء الأب، فقالوا: **(يا أمَّتَ)** بفتح التاء وكسرها، ولم يجيزوا صيغة هذا النداء في غير الأب والأم مطلقاً، بمعنى أن هذا اللون من النداء محصور في نداء الأب والأم، ولم يرد في القرآن سوى نداء الأب بقراءة الكسر (يا أبتِ) المشهورة، وقراءة الفتح الشاذة (يا أبتَ)[102].

المبحث السادس

(الأبوان) مثنَّياتٌ تغليبيَّة بلاغِيَّة

المثنَّيات: مصطلحٌ أطلقه العربُ على الثنائيات المتلازمة والمترابطة، وتنقسم إلى مثنيات **تلقيبيَّة**

[98] الكتاب، 430/2.
[99] تفسير النسفي ج2 ص 211، ج3 ص 36.
[100] التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، 1/ 63.
[101] التيسير في القراءات السبع، عمرو بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1984م، ص90.
[102] راجع: حجة القراءات، عبد الرحمن بن زنجلة، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1982م، ص444.

ومثنيات **تغليبيَّة**؛ فالمثنى التلقيبي إذا أفرد لا يصِحُّ إطلاقه على أحد الثنائيين، مثل: الثقلان (الإنس والجن)، والمثنى التغليبي، وهو الذي إذا أُفرد صحّ إطلاقه على المتغلّب من الاثنين، إذا كان بين مدلوليهما علاقة أو اختلاط[103]، مثل: **(الأبوان)** الأب والأم، ولم يقولوا: **(الأمّان)**، لأنهم غلَّبوا المذكر على المؤنث[104]، وجاء على سبيل النُّدرة قول: وهُما أُمّاكَ: أي أَبَوَاكَ، وقيل: أُمُّكَ وخالَتُكَ[105]، والأصل في الخطاب العموم للذكر والأنثى دون تمييز، وما اللجوء إلى التذكير إلا؛ لتخصيص المذكر بشيء لا يشمل المؤنث، والعكس، ومثل هذا لا بُدَّ منه، ولا غبار عليه، إنما هي أدواتُ تفاهمٍ بين الناس، وليست بوسائل تفاضل وتمايز؛ وغرضها: الإيجاز والخِفَّة والشهرة، وإليك مزيداً من الحديث عنه:

أولًا: (الأبوان) مراداً بهما الأب والأم:

وقد يراد بهما الأب والخالة، وتثنية لفظة الأبِ والأمِّ على (أبوين) من باب تغليب المذكر على المؤنث، مراعاة للأشهر، وقد ورد هذا التغليب بلفظ التثنية ستُّ مرات في القرآن الكريم[106]، فإذا رأيت كلمة **(الأبوين)**؛ فاعلم أن الآية قصدت (الأب والأم) مع الميل لجهة الأب؛ لأن الكلمة مشتقة من الأبوّة، التي هي للأب، وليست للأم؛ والأبوة رمز للقوة والتحدي، ومواجهة المسؤوليات والتبعات الجسام؛ لذا كلُّ آياتِ المواريث، تكون الكلمة المذكورة فيها (الأبوين)؛ ليناسب ذلك الرجل؛ لأن الرجل هو المسؤول عن الإنفاق؛ فميراث الأب مصروف، وميراث الأم محفوظ، ويعقِّب القرطبي على آية النساء: ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: 11] بقوله: «فالأبوان في هذه الآية تثنية الأبِ والأبَة، واستُغني بلفظ الأمّ عن أن يقال لها **أبة**، ومن العرب من يجري المختلفين مجرى المتفقين؛ فيُغلِّب أحدهما على الآخر لخفته أو شهرته، جاء ذلك مسموعًا في أسماء صالحة؛ كقولهم للأب والأم (الأبوان)، وللشمس والقمر (القمران)؛ غلَّبوا القمر على الشمس؛ لخفة التذكير، فاشتهرت[107]»، أما الذي يناسب المقام الذي نحن فيه مناسبة تامة، فهو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: 80] ، ففي قوله (أبواه) تغليب للأب على الأمّ؛ فقد أطلق لفظ الأب –مجازًا– على الأب غير المباشر، وعلى الجدِّ أيضًا.

ثانيًا: (الوالدان) مرادًا بهما الأمّ والأب:

من المعلوم أن إطلاق (الوالدة) على الأمِّ حقيقةٌ لغوية، لكن إطلاق (الوالد) على الأب؛ إطلاقٌ مجازي؛ لأن الوالد لا يلد على الحقيقة، وإنما هو سببٌ؛ فسُمّي باسم السبب، أما الوالدة فالتسمية فيها كائنة على الحقيقة، وتثنية الوالد والوالدة على صيغة المثنى (الوالدان) تسمية مجازية تغليبية، والتغليب هنا جارٍ من جهتين متضادَّتين؛ فمن جهة اللفظ غلب لفظ الوالد على الوالدة؛ فقيل (والدان)، ولم يقل (والدتان)، ومن جهة المعنى؛ غلب معنى الولادة على من كان سببًا فيها، فكأنَّ لفظ الوالد هو الغالب، ولفظ الوالدة مغلَّب عليها، يعني أن المجاز غُلِّب على الحقيقة؛ لأن صفة الولادة في المرأة حقيقية، وفي الرجل مجازية، وتسمية الأب (والد) مجازيٌّ وتسمية المرأة

[103] المعجم الوسيط 2 / 658.
[104] الصحاح في اللغة 294/2
[105] سر صناعة الإعراب، ابن جني، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م، 60/ 564.
[106] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار التراث، القاهرة، 145/3.
[107] الجامع لأحكام القرآن القرطبي، دار الكتب العلمية، 1993م، 5 / 68.

(والدة) حقيقيٌّ، وتسميتُهما (والدان) تغليبي، فإذا رأيت كلمة (الوالدين) فالمقصود (الأب والأمّ) مع الميل لجهة الأمّ؛ لأن الكلمة مشتقة من الولادة، التي هي من صفات المرأة دون الرجل؛ لذا في كل توصية ومغفرة ودعاء وإحسان في القرآن، تكون (الوالدين) هي الكلمة المستخدمة؛ ليتناسب ذلك مع فضل الأم ورقتها.

المبحث السابع

(الأب والأمّ) خُصُوصِيَّات دلاليَّة

(أب وأمّ) في اللغة لها معانٍ أساسية، ومعانٍ دلاليَّة متنوعة حسب المعنى والسياق، كما سنرى:

أولًا: السياق الدلالي لاستعمال لفظتي (الأب والأم)، في الدعاء، والتكنّي، وغيره [108]:

درجت العرب على استعمال لفظتي الأب والأمّ، بكثرة في كلامها؛ لعلوّ مكانتهما، وسموّ قدرهما، ومن ذلك:

– **التكنيّ بالأب والأمّ:** لاحترام المكنّى وإكرامه وتعظيمه؛ لاختصاصه بصفةٍ تفوّق فيها، أو اخترعها أو طوّرها؛ فيكنُّون عن سورة الفاتحة بـ(أمّ الكتاب)، وعن رمضان بـ(أبي البركات)، وعن مكة بـ(أمّ القرى)، وعن الخمر بـ(أمّ الخبائث)، وعن الكريم المضياف بـ(أبي الأضياف) [109]؛ فتحسّ في أمّ الكتاب، وأبو العيال، ونظائرهما؛ تكريمًا حسيًّا لأشياء ومواطن من خلال الأُبُوّة والأُمُومَة الوامضة.

– **أفديك بأبي وأمّي:** فـ(أبَّاه، وبأبأه، وبَيَّبه) **نحت** محكيّ لجملة: أَنْتَ مَفْدِيٌّ بالأب والأم، وتسمي البأبأة والبيَبْ، أي استعمال الباء مع الأب والأمّ، بأبأت الصبيّ، وبَيَّبْتُ الرَّجُلَ إذا قُلْت له بأَبي، والباء متعلقة بمحذوف قيل هو اسم؛ فيكون ما بعده مرفوعاً تقديره أَنت مَفْدِيٌّ بأَبي وأُمّي؛ وقيل هو فعل وما بعده منصوب، أَي: فَدَيْتُك بأَبي وأُمّي، وحذف هذا المقدَّر تخفيفاً لكثرة الاستعمال وعِلْم المُخاطب به[110].

– **لا أمَّ لك!، ولاَ أبَ لَكَ، ولا أبا لك:** تعبيران؛ قد يقالان في سياق الذَّمّ غالباً، وقد يكونان للمبالغة في المدح، والتَّعَجُّبِ وَالحَثِّ وَالزَّجْرِ.

– **للَّهِ أَبُوكَ!:** لِلمَدْحِ وَالتَّعَجُّبِ، بِمَعْنَى لِلَّهِ دَرُّكَ، أَي أَبُوكَ للَّهِ خالِصاً حيثُ أَنْجَب مثْلِكَ، **ولا أَبَ لِشانِيكَ ولا أَبا لِشانِيكَ:** تقال في الكَرامَةِ مدحاً، و**أبيت اللعن:** من تَحايا الجاهلية ودعائهم، وتعني: أَبَيْتَ أَن تأْتي من الأُمور ما تُلْعَنُ عليه، **والولد سرُّ أبيه، وهي بنت أبيها، وهو ابن أبيه:** أَي أَنَّمها شَبِيهان بأبيهما في المعالي، و**جَاءوا عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ:** كلهم عَنْ آخِرِهِمْ **وأبًا عَنْ جَدٍّ:** تَنَاقَلُوا الشيء خَلَفاً عَن سَلَفٍ، أَيْ بالتَّوَارُثِ من الآبَاءُ وَالأَجْدَادُ، و**أبٌ روحيٌّ:** مرشد أو شخص يقوم مقام الأب في تقويم الأخلاق وتربية الروح، و**أبُو الاسْتِقْلَالِ:** أَيْ مَنْ أَثَارَ فِكْرَةَ الاسْتِقلاَلِ لأَوَّلِ مَرَّةٍ.

– **ويلُمِّه:** الأصل: ويلٌ أمّه، فحذفت اللام ثم الهمزة، وركبت الكلمتان على طريقة النحت، فهو مَدْح خرج بلفظ الذمّ كما يقولون أَخْزاه الله ما أَشْعَرَه، ولعَنه الله ما أَسْمَعه، و**ثكلتك أمّك:** أي: فقدتك، يقال في الدعاء على رجلٍ، والثُّكل: الموت والهلاك، والأمّ ثاكلٌ، وثكولٌ وثكلى، والثُّكل فقد الولد، ولا يقال: ثكلك أبوك[111].

[108] راجع: العين (أمم) 426/10، تاج العروس، الزبيدي 230/31، وثمار القلوب، للثعالبي، بتحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1384ه ، ص 254-262، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، 1 / 56.

[109] المرصّع؛ لابن الأثير الجزري، تح: فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، 1992م، ص346، تاج العروس 26/37.

[110] تاج العروس من جواهر القاموس 37 / 23.

[111] في شرف العربية، د. إبراهيم السامرائي، الدوحة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1994م، ص 94.

وهَوَتْ أُمُّه!: تُستعمل على جِهَةِ الذم والتَّعَجُّبِ، ومعنى هوت أمّه، أي: هلكت أمّه، وما زال هذا الدعاء معروفاً لدى الأمّهات في دارجة العراق، حين يعلمن بوفاة شاب، يقلن: ماتت أمّه [112]، ورَأَيْتُهُ **بِأُمِّ عَيْنَيَّ:** رَأَيْتُهُ بِنَفْسِي رُؤْيَةً لاَ مَجَالَ لِلشَّكِّ فِيهَا. **واللُّغة الأُمّ:** اللغة الأولى الأصلية للفرد، و**الأُمِّيُّ:** الذي لا يقرأ ولا يكتب، كيوم ولدته أمّه.

– **حالات اليتم:** اليتيم من الألفاظ التي تم تعميمها على من فقد الأبوين، أو أحدهما؛ لكن العربية قد خصصت لكل حالة من حالات **اليُتْم** مصطلحاً خاصاً؛ فمن فقد أباه قبل البلوغ؛ فهو **(اليتيم)**، ومن فقد أمّه فهو **(العجيّ)**، ومن فقد أبويه معاً؛ فهو **(اللطيم)** **[113]**، وإطلاق اليتيم على الحالات كلها من باب التعميم الدلالي.

– **عاقّ والديه:** وأصل العقِّ الشَّقّ، وإليه يرجع عُقُوقُ الوالِدَيْنِ وهو قطعُهما وعصيانهما؛ لأنَّ الشّق والقطع واحدٌ، يقال: عَقَّ ثوبه إذا شقَّه. عَقَّ والديه يَعُقُّهُما عَقّاً وعُقُوقاً [114].

ـ الأعيان: الإخوة من الأب والأم، **أولاد علّات:** هم الإخوة من الأم فقط، **وأولاد أخياف:** هم الإخوة من الأب فقط، **وهم أعيان إخوتهم:** إذا كانوا من أب وأم، وإخوتهم من أمهات شتَّى، **والبضاضة:** آخر ولد الأب، **والسليل:** هو الولد؛ كأنه سُلَّ من أبيه، **والنجل:** الولد، **وعَقِب الرجل:** ولده؛ أي من يعقبُه، **ويقالُ لزوجِ الأمّ:** الرابّ، **وامرأة الأب:** الرابّة والربيبة [115].

ثانيًا: السياق الاجتماعي وأسبقية نظام الأمُومة:

عند تحليل الكلمات العربية، واستنباط معانيها بالرجوع إلى أصولها المعجمية البدوية القديمة، تتجلى بوضوح العقائد والقواعد الاجتماعية التي كان يعيشها أسلافنا العرب، فعند التأمّل في كلمة **(الحياة)** مثلاً؛ نجدها مشتقة من **(الحيا)**؛ فسَمَّوا المطر **(الحيا)**؛ لأنه سببٌ لحياة الأرض والكائنات كلها، وسَمَّوا عضو التناسل عند المرأة أيضاً **(الحيا)**، وما زال العوامُّ في الأرياف يقولون (حيا المرأة) (حيا البقرة) (حيا الفرس)؛ وعلى هذا الاعتقاد بأن الأمّ هي كلُّ شيء؛ صار النظام الاجتماعي عند الإنسان البدائي أُمَويًا، ثم تطور الناس وانتقلوا من النظام الأموي إلى النظام الأبوي، ولكن بقيت (الحياة) في لغتنا تدلّ على أصولنا وجذورنا الاجتماعية[116]، ثم إن (الرَّحِم)، اشتقها الله من اسمه (الرَّحمَن)؛ نظرًا لطبيعة (الرحم) ووظيفته في ذاته؛ فهو أصلٌ للإنسان ومنبته؛ وبطن الأم هو الوعاء الذي تنبت به البويضة الملقّحة إلى أن يتمّ تكوّن الجنين[117]، وجمعه (أرحام)، وبالتالي فهو الأصل الذي أتى منه؛ ومن **(الرحم)** اشتق الناس الرحمة، أي أن الرحمة كانت في الأصل العلاقة القائمة بين أبناء الرحم، ومن اللائق هنا أن نذكر أنّ من معاني كلمة (الأمّ) في العربيّة (الأصل)، وهذا يدلنا على أن النظام الأموي سبق النظام الأبوي.

ثالثًا: السياق الوجداني النفسي:

إنّ تعدُّد اسم الشيء دليلٌ شرف المسمى، وثنائي الأب والأم؛ تعددت أسماؤه؛ منها: الوالدان، الأبوان، الطرفان، الشريكان؛ لأنهما كلمتان غنيتان بالمعنى النفسي، والدفء الوجداني؛ فيهما حياة وحيوية

[112] في شرف العربية، ص102.
[113] مبادئ اللغة، الخطيب الاسكافي، تح: يحي عباينة وعبدالقادر الخليل، وزارة الثقافة، عمان، 1988م، ص41.
[114] العين، 6/1.
[115] ينظر: التلخيص في معرفة الأسماء، أبوهلال العسكري، ت: عزة حسن، دار صادر، بيروت، 1993م، ومبادئ اللغة للخطيب الاسكافي.
[116] راجع: البلاغة العصرية، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013م، ص26.
[117] القاموس المحيط؛ الفيروزآبادي مادة رحم ج4.

ووجدان؛ ويقال: الأبُ أشْرف، والأمُّ أرْأرف، والمعنى الوجداني قد يكون **عامًّا**، وقد يكون **خاصًّا**؛ فالمعنى الوجداني العام مشترك بين أهل لغة ما، مثل المعنى الوجداني المشترك المصاحب للأب، والأخ، والوطن، أما المعنى الوجداني الخاص؛ فهو المعنى المرتبط بتجربة خاصة بفردٍ ما.

وكلُّ ما أضفاه الوجدانيون على ثنائيّ الأُبُوَّة والأمُومة؛ إنما هو صوتُ الوجدان والفطرة علق بالكلمتين من خصائص أحرفهما تعبيراً عن معانيهما، فهما مظهرٌ من مظاهر الانفعال النفسي، وصدق ابن جنى، في قوله: "إنّ العربي قد أبدع كلماته سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد؛ فكأنّ العربي بذلك يصور الأحداث والأشياء والحالات بأصوات حروفه"[118]، حتى الأرسوزي الذي ابتكر التعريف الفلسفي النفسي للحرف، بقوله: "الحرف هو صدى صوته في الوجدان، والكلمة ملكوتي"[119]، فكلُّ حرف من حروف الأب والأمّ، قد تحوَّل بفعل تعامله مع الأحاسيس والمشاعر الإنسانية، إلى وعاءٍ من الخصائص والمعاني، فما إنْ يعيها القارئ أو السامع حتى تتشخص الأمُومة والأبوة في مخيّلته أو ذهنه أو وجدانه؛ وتتحول إلى تفعيلة (موسقة) جهراً وهمساً، تفخيماً وترقيقاً، شدةً وليناً، إلى آخر العزف على أوتار أصوات حروفها؛ لتدخل في التعبير عن شتى المعاني النفسية.

ونرى الجانب الوجداني لثنائي الأُبُوَّة والأمُومة في مستويات الاستعمال المتنوع، كتنوع مستويات النداء العشرة في العربية للأب والأم، والانزياح القرآني في النداء إلى (أبت)، وكما يظهر في معيار الترادف والتماثل: **أمي/ماما، والدي/دادي، أبي/بابا، (أبت أبتاه، أبتي، أبوي**، وأفضل معيار للترادف هو (التبادل)، فإذا حلت كلمة محل أخرى في جملة ما دون تغيير في المعنى كانت الكلمتان مترادفتين، والترادف قد يكون **عاماً، مثل** [120]:

هذا والدي = هذا أبي؛ إذن، والد = أب

هذه والدتي= هذه أمي؛ إذن والدة = أم.

وقد يكون **ترادفاً اشتمالياً تبادلياً**:

فكلُّ أبٍ والد، وكلُّ والدٍ أب (إذن، أب= والد)

وكلُّ أمٍ والدة، وكل والدةٍ أمٌّ (إذن، أمّ = والدة).

وخطاب الأمُومة والأبوة تحمله لفظةٌ لغويةٌ تبرز الطبقة الاجتماعية للمتكلم؛ فمثلاً مع الأبوة؛ تميل لغة الأرستقراطيين والمتفرنجين، إلى استخدام مصطلح **(داد)**، أما مصطلح **(الولد– والدي)**؛ فأدبيٌّ فصيح، ومصطلح **(بابا–بابي)** عاميٌّ راقٍ، بينما **(أبويا–آبا)** عاميٌّ مبتذل..

وقد يحصل توسُّعٌ دلاليٌّ للألفاظ مثل (بابا) فقد حظيت بالتوسُّع الدلاليّ من سياق النِّداء للولد أو الوالد، إلى سياق الدلالة المطلقة على الوالد، وإن لم يكن ثمة نداء، ثم إلى سياق اللقب لإحدى المهن أو الدلالة على اسم شخص.

ومن وسائل التلطُّف الجميل **في اللهجة الصنعانية**؛ أنها تخاطب (الأب والأم) بواو الجمع (أين ذهبتوا يابه/ ما فعلتوا يامّه)، وهذا أسلوبُ تَلَطُّفٍ راقٍ للتعظيم والتأدُّب والتبجيل، وما سبق يجعلنا نتفق مع القائلين: بأن أصل اللغة فطريٌّ، وأنها جزءٌ من الواقع الطبيعي.

[118] الخصائص 2/162-163.
[119] الأعمال الكاملة، المجلد الأول، ص9.
[120] راجع: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص45، و90.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

بعد السياحة البحثية مع خُصُوصِيَّات الأُبُوَّة والأُمُومَة معجميًّا وصوتيًا ومقطعيًّا وصرفيًّا وتركيبيًّا ودلاليًّا، نعرض فيما يلي أهم نتائج البحث التي تم التوصُّل إليها:

1- معجم كلمتي(**أب/أمّ**) هو المخزونُ المتاحُ للتداولِ الاستعمالي، وأبرز المعاجم المتداولة؛ هما: معاجم اللغة، ومعاجم القرآن الكريم.

2- (الأبوَّة) لغةً تحتمل عددًا من معاني التهيؤ والقصد والإباء والتغذية، وأخصُّ خُصُوصِيَّات الأبوّة هي أبوّة الدم؛ إذ إنها حقيقته.

3- هناك فرقٌ اصطلاحيٌّ بين الأبِ والأبوّة، فالأب هو نسبُ الدم، و(الأبوَّة) مسؤولياتٌ وتكاليف؛ فالأبُ في الدم؛ قد يتنصّل عن واجبات (الأبوّة).

4- الأب اصطلاحًا: إنسانٌ تولّدَ من نطفته إنسانٌ آخر، ودخل فيه من كان سببًا في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره.

5- الأمُومة لغةً مشتقةٌ من الأمّ، **وأمُّ** كل شيء: أصله وعماده ومعظمه، والأم الوالدة، والهمزة والميم في (أمّ) أصلٌ واحدٌ، يتفرّع منه (الأصل، والمرجِع، والجماعة، والدِّين)، يليها أصولٌ ثلاثة، وهي القامة، والحين، والقَصْد.

6- الأمُومة اصطلاحًا هي: نظامٌ تعلو فيه مكانة الأمّ على مكانة الأب في الحكم، ويرجع فيه إلى الأم في النسب أو الوراثة.

7- المصاحبات المعجميَّة لـ(الأب والأم): هي وحدات معجميّة متلازمة اعتيادية متداولة؛ يقرُّها العرفُ اللُّغويُّ، مثل: (الأبُ و: الوالدُ، والوالدةُ، والأمُّ، والجدُّ، والعمُّ/ والأمُّ و: الوالدةُ؛ والأنثى، والمرأةُ، والأبوَّةُ، والمرضع).

8- ليس هناك لغةٌ، احتفلت بنعمة الأبوين؛ احتفال لغة القرآن؛ فقد ورد (أب) في القرآن (١١٧) مرة، بمعنى الوالدُ، والعمُّ، والجدُّ، أما (الأم) فوردت (٢٨) مرة، بمعنى الوالدة، والمرضعة.

9- انزياح الرسمِ القرآنيّ من إثبات الألف مع (آباء) إلى حذفها مع (أمَّهات)؛ للإيحاء بأن الأمهات أكثر التصاقًا وقربًا من أولادهنّ، فحذَفَ الألف؛ لأنها حرف فصلٍ، يفصل أجزاء الكلمة ويبعثرها؛ وهذا لا يتناغم مع طبيعة الأمّ الملتصقة بوليدها؛ التصاقًا حسيًا في مرحلة الحمل والرضاعة.

10-الانزياح الجمالي والنفسي في وسْم غير الأمّ بالمرضعة في القرآن؛ نقلها من العموم إلى الخصوص، فحدَّد زمانها ووقتها ونوعها؛ للإنباء عن هول المحشر، وتنزيلها منزلة الأمّ؛ لأنها تُعدُّ أمًّا بسبب هذه الإرضاع.

11-انزاح الموقع الترتيبي لـ(لأب والأم) في مشهد (الفداء) يوم القيامة؛ إلى الغياب؛ لأن المجرم لا يجرؤ أن يفتدي بـ(أمه وأبيه)؛ لعظيم منزلتهما؛ وكأنّ الأمر بالإحسان إليهما يشمل الدنيا والآخرة.

12- (بابا وماما) في الدوائر المعجمية والتاريخية والفقهية والشعرية، لها أصلٌ عربيٌّ عريقٌ ضاربٌ بجذوره في القدم.

13-(بابا/ماما)، ترتبط بنشوء لغة الطفل؛ لأن الطفل يميل إلى السهولة الصوتية؛ فبدأ بالصراخ بأصوات الفم المفتوح (آآآ واااا)، وهي مرحلة (المناغاة)، وانتقل إلى أصوات الفم المغلق الشفوية السهلة (ب، م)؛ وهي مرحلة (البأبأة والمأمأة)؛ ثم انتقل بالتدريج إلى الجمع بين (الألف) و (ب، م)؛ فكوّن المقاطع المفتوحة (بابا ماما)؛ ومنهما اشتقت ال/(أبْ وأم).

14-إن مدار كلمتي **الأب والأمّ** على صوتَي الباء والميم، ثم الهمزة مع (أب/أمّ)، وألفها المتحولة مع (بابا/ماما)، وهذه الأصوات تتحرك على مساحة هذا الثنائي بانسجامٍ تام؛ فمجيء الباء مع كلمة (أب) بشدته وقلقلته؛ أحدث دويًّا صوتيًّا عاليًّا عزَّز من دلالة (الأبوة) القوية الحازمة الباسمة، ومجيء الميم بترقيقه وإيمائيَّته تلاءم مع طبيعة (الأم) الرقيقة الحنونة.

15-الصوت المشترك بين (أب وأم) هو الهمزة، وألفها المتحولة مع (بابا وماما)؛ فالهمزة القطعية أكسبتهما خاصية نبرية عالية، وألف (ماما بابا)؛ أكسبتهما مرونة وامتدادًا وسهولة؛ فناسبت الأولى للكبار والثانية للأطفال.

16-(الباء والميم) صوتا (الفم المغلق)، يصدران من مقدمة جهاز النطق، وهما منطلق البدايات كلها؛ فبهما بدأت مسيرة الحياة من صلب (الأب) إلى بطن (الأم)، وسارع الطفل إلى ترديدهما، فنشأت اللغة، واستهلت البسملة بالباء، وختمت بالميم؛ وهي اللفظ الافتتاحي للحياة كلها.

17- **(أبْ وأمْ)** بمقطعهما القصير المغلق بالحرفين الشفويين المطبقين (ب، م)، للإيحاء بأنهما دائرة مغلقة في فضلهما ومكانتهما ومنزلتهما التي لا تدانيها منزلة على الإطلاق.

18-**(بابا/ماما)**، بمقطعهما الطويل المفتوح للمبالغة والامتداد في المعنى؛ وألف الإطلاق فيها إطلاق للمكبوت؛ وهي أوضح في السمع، وأكثر أثراً في النفس.

19-اضطرَّت العربية صرفيًّا مع (الأب والأم) أن تحَذِف وتُضعِّف وتُصغِّر وتَنسِب، وتُثنِّي وتجمع؛ لإثراء التوليد الدلالي والاقتصاد اللغوي.

20-جاء (الْأَبُ) في صورة مفرد مذكر، وجذره (ءبو)، وتحليله (ال+ أب)، ومصدره (الأُبُوّة)، أما (الأمّ) فجاءت في صورة مفردٍ مؤنث، وجذرها (ءمم)، وتحليلها (ال+أم)، ومصدرها (الأمُومة).

21-بُنية (الأبِ والأمِّ) تبدو في ظاهرها ثنائيَّة؛ لكنها في السياق التصريفي ثلاثية، حيث طرأ حذف الواو في (الأب)، وإدغام الميم المشددة في (الأمّ)؛ فتطورتا من الثلاثي (أبَوَ وأُمَمْ) إلى ما يشبه الثنائي (أب أم)؛ جريًا وراء قانون اختزال الجُهد، الذي يميل الإنسان على ضوئه إلى مبدأ السهولة واليسر للوصول إلى مقاصده.

22-الميزانُ الصرفيُّ للأب؛ قبل الحذف أَبَوٌ ووزنه (فَعَلٌ)، وبعد الحذف أب ووزنه (فُعْ)؛ و(الأُمّ) تبعًا لأصلها، فوزن أمٌّ (فُعْل)، وأمّات (فُعْلات)، وأمَّهَةٌ (فُعْلَهَةٌ)، وأمهات (فُعْلَهاتٌ).

23-عند النسبة إلى (الأب) نقول: (أَبَوِيٌّ)؛ وإلى (الأمّ)؛ (أُمِّيّ وأُمَوي).

24-إذا صُدِّر المركب الإضافي بـ(أَبٍ أَو أُمٍّ أَو ابنٍ)، وكان صدرها مُلْبسًا؛ نسبت إلى العجُز.

25-تصغير (الأب): أُبَيٌّ، (الآباء): أُبَيُّون وأُبَيَّاء؛ أما تصغير (أمّ) فهو أُمَيْمَة، وقيل: أميهة، وقيل: أُمَّهة؛ لقولهم في الجمع (أمهات).

26-يجمعُ الأبُ على (أَبُونَ) جمعًا سالمًا، و(آباءٌ وأُبُوٌّ وأُبُوَّةٌ) جموع تكسير، و(أبَات) جمع مؤنث شاذ؛ وأجودها(الآباءُ)، أما جمع (أمّ)؛ فتتراوح بين (الأُمَّهات) للعقلاء، و(الأُمّاتُ) لمن لا يعقِل.

27-الانزياح الجمعي من (أُمّات) إلى (أُمَّهات)، بزيادة (الهاء) له قيمة صوتيَّة صرفيَّة دلاليَّة؛ لإسعاف جمع (الأمّ) اللفظ التداولي المحبوب؛ ومنحه الاستراحة والتبيين والتعظيم، وكذا البُعد القلبي؛

لأن مخرج الهاء من أقصى الحلق قريبٌ من القلب؛ للإيحاء بأن الأمهات محلُّها القلب.

28-نهجت العربيةُ في تثنية (أب)؛ نهجين: أحدهما: أن تعيد الأصل المحذوف (أبوان)، والثاني: أن يبقى المحذوف على حذفه(أبان)، أما تثنية (أمّ) فلا إشكال فيها.

29-لنداء الأقارب مستويات يقتضيها المقام؛ تأخذ خطًا علويًّا من الأب لابنه، وخطًا أفقيًا من الأخ لأخيه، وخطًا سفليًا من الابن لأبيه.

30-تمنحُ العربية مقام (الأبِ والأمِّ)، حصرًا وقصرًا في النداء عشر لغات تفخيمًا؛ لمقامهما، [يا أبيْ يا أمّيْ/ يا أبيَ يا أمّيَ/يا أبِ يا أمِّ/يا أبَا يا أمَا/يا أبَ يا أمَ/يا أبُ يا أمُ/يا أبتَ يا أمَّتَ/يا أبتِ يا أمتِ/يا أبتُ يا أمَّتُ/يا أبتا يا أمَّتا]، وهذا التعدد ليس عبثيًا؛ بل تترتب عليه نكتٌ بلاغية؛ وأبعادٌ لغوية، ونفسيةٌ، وانفعاليةٌ، مدارها التحبب والتوسل؛ لاستثارة العاطفة الأبوية.

31-انزياح النداءِ القرآنيّ من صيغة (يا أبي) إلى صيغة (يا أبتِ) تحملُ ملامح بلاغية، ودلالات إضافية، أبرزها أنه نداء خاصٌّ بالأبوين حصرًا وقصرًا؛ لمنحهما خصوصية المبالغة والتعظيم؛ الذي لا تمثله صيغة (يا أبي) المعيارية.

32-مثنَّيات (الأب والأمّ)، يُطلق عليهما من باب التغليب البلاغيّ؛ (الأبوان) للأب الأشهر بالتذكير، و(الوالدان) تغليبًا للأمّ الأشهر بالولادة؛ لغرض الإيجاز والخِفَّة والشهرة.

33-استعملت العرب (الأب والأمّ) بكثرةٍ؛ لعلوّ مكانتهما، وسموّ قدرهما، فأسعفتهما في حالات التكنّي والدعاء والتعجب والتعظيم والتحقير، والمدح والذم، والسلم والحرب، وصنعوا من هذين اللفظين؛ حِكَمًا وأمثالًا، وولَّدوا منهما تشبيهات وكنايات ونحوت واستعارات تداولية.

34-في السياق الاجتماعي والغريزي يتصدر نظام الأمُومة؛ ولهذا اشتقت (الحياة) من (الحيا)؛ وتولَّدت الرحمة، من الرحم؛ لأن الرحمة في الأصل هي العلاقة القائمة بين أبناء الرحم.

35-تعدَّدت أسماء (الأب والأم)، ومنها: الوالدان، الأبوان، الطرفان، الشريكان؛ وتعدُّد الاسم يدل على شرف المسمى.

36-صوتُ الوجدان والفطرة علق بالـ(الأب والأمِّ) من خصائص أحرفهما؛ فأصبحتا تفعيلة (مموسقة) مشحونة بشتَّى العواطف؛ جهرًا وهمسًا، تفخيمًا وترقيقًا، شدةً ولينًا.

37-نلْمسُ العواطف الوجدانيّة للأُبُوَّة والأُمُومَة في مستويات الاستعمال المتنوِّع؛ كتنوُّع مستويات النداء العشرة، وظهور معيار الترادف والتماثل بين الأم ومشتقاتها، والأب ومشتقاته.

38-خطابُ الأمومةِ والأبوةِ تحملُه لفظةٌ لغويةٌ دلاليّة؛ تبرز الطبقة الاجتماعية للمتكلم.

قائمة المصادر والمراجع:

[1] أسرار الحروف، أحمد زرقة، دار الحصاد للنشر، دمشق، ط1، 1993م.

[2] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984م، ط5.

[3] الأعمال الكاملة، مج1، زكي الأر سوزي، ط2 ،1987.

[4] الأفعال، لأبي عثمان السرقسطي، نشر الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، تح: د. شرف و د. علام، 1975 م.

[5] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط2.
[6] البلاغة العصرية، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013م.
[7] البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السّلام هارون، الطّبعة الخامسة، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، 1985م.
[8] التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
[9] التطور النحوي، برجشتراسر، تعليق: رمضان عبد التواب، دار الرفاعي، الرياض، 1982.
[10] التعريفات، على الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.
[11] التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، تح: د. م رضوان الداية، دار الفكر–بيروت، دمشق، ط1، 1410هـ.
[12] التيسير في القراءات السبع، عمرو بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1984م.
[13] الجامع لأحكام القرآن القرطبي، دار الكتب العلمية، 1993م.
[14] الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط2.
[15] الشاعر الأميري، وكلمة "بابا"، د. محمد حسان الطيان عضو مجمع اللغة العربية، دمشق، موقع الألوكة، رابط: [http://www.alukah.net/articles/1/502.aspx].
[16] الصحاح، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكاتب العربي، مصر، د.ت.
[17] العين، الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، د.ت.ط3.
[18] القاموس المحيط، الفيروزآبادي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، (من دون تاريخ).
[19] الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م.
[20] الكليات، لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1998م، تح: عدنان درويش، محمد المصري، ص25.
[21] المدخل إلى علم اللغة؛ د. رمضان عبد التواب
[22] المرصع؛ لابن الأثير الجزري، تح: فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، 1992م.
[23] المستقصى في علم التصريف، د. عبد اللطيف الخطيب، مكتبة دار العروبة للنشر، الكويت، 2002م.
[24] المصاحبة المعجمية، سلسلة الرسائل والدراسات الجامعية. لواء عبد الحسن عطية، دار الكتب العلمية، 2018م، بيروت، لبنان.
[25] المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، 92/1.
[26] المعجم المفهرس؛ لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1364هـ.
[27] المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4.
[28] المفردات، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط3.
[29] المقتضب، المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ت.
[30] النوادر في اللغة؛ لأبي زيد الأنصاري، تح: د. محمد عبد القادر، دار الشروق، بيروت، ط1، 1981 م، ص 254.
[31] تاج العروس، الزبيدي، ط1، المطبعة الخيرية بمصر، (من دون تاريخ.
[32] تاريخ اللساميات، إسرائيل ولفنسون، ط1، دارالقلم1980م، بيروت.
[33] تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المؤسسة المصرية العامة، 1964م، ص 452/15.
[34] تهذيب المقدمة اللغوية، عبد الله العلايلي، ت: أسعد علي، ، 1968م.

[35] ثمار القلوب، للثعالبي، بتحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1384هـ.

[36] حاشية الصبان على شرح الأشموني، الصبان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

[37] حجة القراءات، عبد الرحمن بن زنجلة، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1982م.

[38] خصائص الحروف العربية، حسن عباس،

[39] دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار النعمان، بيروت، ط3، 1976م.

[40] ديوان ابن الوردي، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، 2006، دار الآفاق العربية، مصر.

[41] ديوان أحمد شوقي، توثيق: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط8، 1981م.

[42] ديوان الشيخ أحمد تقي الدين، مؤسسة البحيري، دمشق، 1967م.

[43] ديوان البردوني، الأعمال الكاملة، 666/2، وزارة الثقافة، اليمن، ط1، 2010م.

[44] ديوان العباس بن الأحنف، طبعة دار الكتب المصرية شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي.

[45] نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، تح: محمد كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م.

[46] [48] رسالة الاشتقاق لابن السراج، تح: محمد درويش، مصطفى الحدرى، سوريا، ط1، 1972.

[47] سر صناعة الإعراب، ابن جني، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985.

[48] شرح المراح، محمود بن أحمد العيني، تح: عبد الستار جواد، د.ت.

[49] شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ119/1.

[50] ظاهرة التخفيف، أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996م.

[51] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

[52] علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء، الأردن، ط1.

[53] في شرف العربية، د. إبراهيم السامرائي، الدوحة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1994م.

[54] التلخيص في معرفة الأسماء، أبوهلال العسكري، ت: عزة حسن، دار صادر، بيروت، 1993م.

[55] لسان العرب؛ لابن منظور، دار صادر، بيروت، 1990م.

[56] لماذا "ماما" و"بابا"؟، جاكوبسون، ر. 1962م.

[57] مبادئ اللغة، الخطيب الاسكافي، تح: يحي عباينة وعبدالقادر الخليل، وزارة الثقافة، عمان، 1988م.

[58] مجمل اللغة؛ لابن فارس، تح: هادي حمودي، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط1، 1985 م.

[59] مختار الصحاح، للرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، 1995م، تح: محمود خاطر.

[60] معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 2008م.

[61] معجم عجائب اللغة، شوقي حماده، دار صادر، بيروت، ط1.

[62] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979، د.ط.

[63] مغامرات لغوية، دار العلم للملايين، بيروت.

[64] ميزان الألف العربية، أحمد زرقة، مطبعة العجلوني، دمشق.

[65] لماذا" أنا "و" أنت "؟" نيكولز، ج. (1999)، أوراق مختارة من المؤتمر الدولي الرابع عشر حول علم اللغة التاريخي، فانكوفر، 9-13 أغسطس 1999م، محرر. لوريل ج. برينتون، دار نشر جون بنجامين، 2001.

[66] همع الهوامع، السيوطي، تح: عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993م.

[67] Why ‘Mom’ and ‘Dad’ Sound So Similar in So Many Languages، مترجم: لماذا تتشابه كلمتا «بابا» و«ماما» في الكثير من اللغات؟ يحيى أحمد، 14فبراير، 2017م.